من بلاغة النظم النبوى
فى
حديثة ﷺ عن فتن آخر الزمان

الدكتور
صلاح حبيب سليمان
مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنـــات بسوهـــاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد النبى العربى الأمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على دربه إلى يوم الدين .

وبعد

فإن الأحاديث النبوية الشريفة تعد – بعد القرآن الكريم – منبعًا عذبًا ، وموردًا صافيًا ، للفصاحة والبلاغة ، ينهل منه الباحثون عن بلاغة النصوص ما شاء الله لهم أن ينهلوا ، كما أنها تعد المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، ولذلك فقد كان لزامًا علينا أن نولى هذه الأحاديث اهتمامنا ، ونحن بصدد الدراسات البلاغية التى تحاول الكشف عما تنطوى عليه النصوص من أسرار ولطائف .

وأحاديث رسول الله ﷺ عن فتن آخر الزمان جد كثيرة ، وتمتاز – مع كثرتها – بالدقة فى عرض الأحداث ، وتصويرها فى صورة تجذب العقل والخيال .

وكان مما جذب انتباهى ، وأنا أتصفح أحاديث رسول الله ﷺ فى صحيحى البخارى ومسلم – رحمهما الله – حديث أخرجه الإمام مسلم – قد جمع وصفه عليه الصلاة والسلام لفتن آخر الزمان ، بدءًا بفتنه الدجال وما يعيثه فى الأرض من إفساد وإضلال ، وختامًا بالريح الطيبة التى تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على الأرض إلاّ شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر .

وقد ساقه ﷺ بأسلوب بليغ وجيز ، ووصف كاشف دقيق ، يجعل الخيال يتمثل هذه الأحداث وكأنها واقعة مشاهدة .

وهذا ما جعلنى أتوجه بهذه الدراسة لهذا الحديث الشريف، محاولاً الوقوف على ما يتسم به أسلوبه من خصائص وسمات بلاغية.

وقد قام منهجى فى هذه الدراسة على ما يلى :-

أولاً: التقديم للحديث الشريف بما يبين المكانة البلاغية للأحاديث النبوية عمومًا ، ولهذا الحديث على وجه الخصوص .

ثانيًا: التمهيد للحديث الشريف بالتعريف بالإمام مسلم الذى أخرج هذا الحديث ، والراوى الأعلى الذى رواه عن رسول الله ﷺ، وهو النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه .

ثالثًا: عرض الحديث الشريف بنصه كما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله .

رابعًا: تحليل الحديث الشريف تحليلاً بلاغيًا بعد تقسيمه حسبما تضمنه من أحداث وسياقات .

خامسًا: خاتمه البحث ، والتى تضمنت الإشارة إلى أهم النتائج التى توصلت إليها دراسة هذا الحديث الشريف .

سادسًا : ذكر أهم المصادر والمراجع التى أفدت منها فى دراستى لهذا الحديث .

والله أسأل أن ينفعنى بهذا العمل وينفع به

الباحث

تمهيـــــد

أولاً : الإمـــام مســـلم

هو : الإمام أبو الحسن بن الحجـــاج بـــن مســـلم بـــن ورد القشيرى النيسابورى ، أحد أهم رجال الحديث فى زمانه .

ولد بنيسابور سنه مائتين واثنتين للهجرة ، وقيل سنة مائتين وأربع ، وقيل سنه مائتين وست ، ونشأ فى بيت علم ، حيث تلقـــى العلم على أبيه ، ثم رحل إلـــى الحجـــاز ، ومصـــر ، والشـــام ، والعراق.[١]

شيوخـــــــه

تتلمذ الإمام مسلم على يد العديد من علماء الحديث ، والفقه، والتفسير ، واللغـــة ، أمثـــال : يحيـــى بـــن يحيـــى النيســـابورى (ت ٢٢٦هـــ) ، وخلف بن هشـــام (ت ٢٢٩هـــ) ، والجحـــدرى (ت ٢٣١هـــ) ، ومحمد بن عبيد بـــن حســـاب (ت ٢٣٨هـــ) ، وإسحاق بن راهوية (ت ٢٣٨هـــ) ، والإمـــام أحمـــد بـــن حنبـــل (ت ٢٤١هـــ) ، وحمـــاد بـــن إســـماعيل (ت ٢٤٤هـــ) ، ومحمد بن يحيى بن أبى عمر ، صاحب المســـند (ت ٢٤٦هـــ) ،

---

(١) راجع : البداية والنهاية لابن كثيـــر ٣٣/١١ ، ط: دار إحيـــاء التـــراث العربـــى – نشر : مكتب تحقيق التراث العربى – ١٤١٣هـــ – ١٩٩٣م .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١١/١٣ط : دار الكتب العلمية – بيـــروت – بدون تاريخ .
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ١١٣/١٠ ومـــا بعـــدها ، مطبعـــة : مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند – ط/ أولى ١٣٢٧هـــ .
- الأعلام للزركلى ٢٢١/٧ ، ط: دار العلم للملايين ط/ خامسة ٢٠٠٢م .

و الفضل بن سهل البغدادى (ت ٢٥٥هـ) ، والإمام الحافظ محمد ابن إسحاق بن خزيمة ، صاحب صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١هـ).[١]

تلامذتـــه

تتلمذ على يديه العديد من علماء الحديث والراوية ، نذكر منهم أبا حاتم السجستانى (ت ٢٤٨ هـ)، وأبا زرعة (ت ٢٥٨هـ) وأبا حامد أحمد بن حمدون بن رستم (ت ٣٢١هـ)، وإبراهيم ابن سفيان الزاهد (ت ٣٣٨هـ).[٢]

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبى ١١٣/٩ – ط : دار القلم – بيروت – بدون تاريخ .
– ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى ٤٣٨/٣ ، تحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود – الشيخ/ على محمد عوض – ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٥ .
– لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ٤٨٨/٢ – تحقيق : دائرة المعارف النظامية – الهند – نشر : مؤسسة الأعلمى – بيروت – ط/ثالثة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
– نزهة الألباب فى الألقاب للعسقلانى ٨٣/١ – تحقيق / عبدالعزيز السديرى – نشر : مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
– تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلانى ٤٣٧/١ – تحقيق / محمد على البجاوى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ .
– طبقات الشافعية الكبرى للإمام / تاج الدين السبكى ٢٦/١ – تحقيق د/ محمود محمد الطناحى – د/ عبدالفتاح محمد الحلو – ط: دار هجر للطباعة والنشر – ط/ ثانية : ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
– طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث لأحمد ابن هارون البرديجى ١٨٤/١ تحقيق / عبده على كوشك – نشر : دار المأمون – دمشق ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

(٢) راجع : التقييد لمعرفة رواة السنن و المسانيد لأبى بكر البغدادى ٣٣/١ ، ٩٩/١ ، تحقيق/ كمال يوسف الحوت – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

وفاتـــــه

توفى الإمام مسلم – رحمه الله – بنيسابور ليلة الأحد لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومـــائتين للهجـــرة عـــن ســـبعة وخمسين عامًا .(١)

مؤلفاتـــه

خلف الإمام مسلم لطلاب العلم الكثير من المصنفات النافعة، وكتب العلم القيمة ، منها : الصحيح ، والذى جمع فيه اثنى عشـــر ألف حديث ، كتبها فى خمس عشرة سنة . ومنها : المسند الكبير ، والجامع ، والكنى والأسماء، والأفـــراد والوحـــدان ، والأقـــران ، ومشايخ الثورى ، والمخضـــرمون ، وأولاد الصـــحابة ، وأوهـــام المحدثين ، والطبقات ، وأفراد الشاميين ، والتمييز ، والعلل. (٢)

ثانيًا : النَّوَّاسُ بنُ سَمْعَانَ

هو النَّوَّاسُ – بفتح النون والواو المشـــددتين – ابـــن ســـمعان ابن خالد بن عمرو بن قرط بن عبدالله بن أبى بكـــر بـــن كـــلاب

---

(١) راجع : البداية والنهاية ٣٩/١١ ، وفيات الأعيان لابـــن خلكـــان ١٩٥/٥ – تحقيـــق د/ إحسان عباس – ط : دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .

(٢) راجـــع : الأعـــلام للزركلـــى ٢٢١/٧ – مقدمـــة صـــحيح مســـلم ٨/١ – تحقيـــق الشـــيخ/ محمـــد فـــؤاد عبـــدالباقى ، ط : دار الحـــديث . ط/ أولـــى ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م .

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامرى الكلابى ، معـــدود فـــى الشاميين .

صحابى جليل ، كان له ولأبيه صحبة ، فروى عن رســـول الله ﷺ ، وروى عنه : جبير بن نفير ، وبسر بن عبيد الله ، ثم سكن الشام وأقام بها ، فروى عنه أبو إدريس الخولانى وأهل الشام .

يقال : إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبى ﷺ فدعا لـــه ، فأعطاه سمعان نعليه ، فقبلهما ، وزوجه أخته الكلابية ، فلما دخلت على النبى ﷺ تعوذت منه ، فتركها .

توفى – رضي الله عنه – سنة تسع وخمسين للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وخمسين ، وكان له – رحمه الله – ثلاث وستون سنة .[١]

---

(١) راجع فى ترجمته :

معجم الصحابة لـــ / عبدالباقى بن قانع ١٦٣/٣ – تحقيق/ صلاح بـــن ســـالم المصراتى – نشر : مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنـــورة ١٤١٨هـــ – ١٩٩٨م .

– الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ٤٧٨/٦ – تحقيـــق/ علـــى محمد البجاوى – ط: دار الجيل – بيروت – ط/أولى ١٤١٢هـــ – ١٩٩٢م.

– الثقـــات لابـــن حبـــان ٤١١/٣ – تحقيـــق / الســـيد شـــرف الـــدين – ط : دار الفكر –بيروت – ط/ أولى ١٣٩٥هـــ – ١٩٧٥م .

– تهذيب الكمال لـــ / يوسف المرى ٣٧/٣٠ – تحقيق/ بشار عواد معـــروف ، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ أولى – ١٤٠٠هـــ – ١٩٨٠م .

– الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلـــف والمختلـــف فـــى الأســـماء والكنـــى لـــ/ على بن هبة الله بـــن أبـــى نصـــر ٢٣٢/٧ ، ط: دار الكتـــب العلميـــة ، بيروت – ١٤١١هـــ – ١٩٩١م .

نص الحديث الشريف

أخرج الإمام مسلم قال : حدّثنا أبو خَيْثَمَة ، زُهَيْرُ بنُ حَرْبٍ : حَدَّثَنا الوليدُ بن مُسْلِمٍ : حَدَّثَنِى عَبْدُ الرحمن بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ : حَدَّثَنِى يَحْيَى بنُ جابرٍ الطائىُّ ، قاضِى حِمْصَ : حدثنى عبدالرحمن ابن جُبير عن أبيه ، جُبَيْرِ بنُ نُفَيْرِ الخَضْرَمِىِّ ، أنَّه سَمِعَ النَّوَّاس ابنَ سَمْعَان الكِلابىَّ .

وحدَّثَنى محمدُ بنُ مِهْرانَ الرَّازِىُّ ، حدثنا الوليدُ بنُ مسلم: حدثنا عبدُالرحمن بنُ يزيدَ بن جابرٍ عن يحيى بن جابر الطائى ، عن عبدالرحمن بن نفيرٍ عن أبيه ، جبير بن نفير ، عن النواس بن سمعان ، قال : ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَّال (١)

---

(١) الدجال : هو المسيح الدجال ، رجل يخرج آخر الزمان ، فيحدث من الفتن ما نص عليه الحديث الشريف ، قيل : اسمه صافن ، وكنيته أبو يوسف ، وسمى بالمسيح لمسحه الأرض وقطعه لها ، أو لأنه ممسوح العين الواحدة ، يقال : رجل ممسوح الوجه ومسيح، وذلك ألا يبقى على أحد شقى وجهه عين ولا حاجب إلا استوى ، وقيل هو مَفعِل من ساح يسيح ؛ لأنه يسيح فى أقطاع الأرض كافة ، وقيل : لأن المسيح فى اللغة بمعنى الكذاب ، وبمعنى المارد ، وبمعنى القتّال ، وبمعنى المسرع ، وبمعنى : المُزَيِّن ، وهو كذلك .

وسمى بالدجال لتغطيته الحق بالباطل ، فهو من الدجل بمعنى : التغطية ، أو لتمويهه على الناس وتلبيسه ، أو لقطعه الأرض ، يقال : دجل : إذا فعل ذلك ؛ أو لأنه خداع ملبس من الدجل ، وهو الخلط ، ويقال : الطلى والتغطية ، ومنه البعير المدجل ، أى المدهون بالقطران ، ودجلة : نهر بالعراق ، سميت بذلك لأنها تغطى الأرض بمائها ، وهذا المعنى أيضًا فى الدجال ؛ لأنه يغطى الأرض بكثرة أتباعه ، وقيل : من دجل ، أى كذب والدجال : الكذاب .

- راجع : فيض القدير للمناوى ١٦١/٢ ط/ دار الكتب ط/ أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ .
- التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد للقرطبى ١٨٨/١٤ ، تحقيق / مصطفى بن أحمد العلوى – نشر : مؤسسة قرطبة – بدون تاريخ.

ذاتَ غداةٍ ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ ، حتى ظنناه فـي طائفـةِ النَّخْـل، فلما رُحنا إليـه عَـرَفَ ذلـكَ فينـا ، فقـال : "**مـا شـأنُكم ؟**" . قلنا يـا رسـولَ الله ! ذكـرتَ الـدّجّال غـداة ، فَخَفَّضْـتَ فيـه وَرَفَّعْتَ ، حتى ظنناه في طائفةِ النَّخْـل ، فقـال : **(غيـرُ الـدَّجَّال أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجْ ، وأنا فـيكم ، فأنـا حَجِيجُـهُ دُونَكـمْ وإِنْ يَخـرُجْ ، ولسـت فـيكم ، فـامْرُؤٌ حَجِـيجُ نَفْسِـه ،**

= - الفائق للزمخشرى (مسح) تحقيق / على محمد البجاوى – محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر : دار المعرفة – بيروت – ط/ ثانية – بدون تاريخ.

- موطأ مالك بشرح السيوطى ١٦٨/١ ، نشر : المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٨٩ – ١٩٦٩م .

- شرح سنن أبى داود للعينى ٩١/٤ تحقيق / خالد المصرى – نشر : مكتبة الرشد الرياض – ط / أولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ .

- عمدة القارئ للعينى ١٥٦/٩ ، ط: دار إحياء التراث العربى – بيروت بدون تاريخ .

- فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٤٧٢/٦ ، د: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ .

- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادى ١٣٨/٢ وما بعدها . تحقيق/ على محمد النجار – طبعة : دار الكتب العلمية بيروت – بدون تاريخ.

- شرح السنة للبغوى ٢٧/١٥ ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط – نشر : المكتب الإسلامى دمشق ، ط/ ثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

- التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوى ٤٣١/١ – نشر : مكتبة الإمام الشافعى – الرياض – ط/ ثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

- تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى للمباركفورى ٤٠٦/٦ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

- تفسير غريب ما فى الصحيحين للحميدى ٦٥/١ ، تحقيق د/ زبيدة محمد سعيد– نشر : مكتبة السنة – القاهرة ، ط/ أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

- شرح سنن ابن ماجة للمغلاطى ١٥٤٦/١ – تحقيق / كامل عويضة نشر : مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية – ط/ أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

- شرح الزرقانى على موطأ مالك ٣٥٧/٤ – ط: دار الكتب العلمية بيروت – بدون تاريخ.

واللهُ خَلِيفَتِي على كلِّ مسلمٍ ، إنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ ، عَيْنُهُ طافِئَةٌ، كأنِّي أُشبِّهُهُ بعبدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ منكم فَلْيَقْرَأْ عليهِ فواتحَ سورةِ الكهفِ ، إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشأمِ والعراق فعَاثَ يمينًا وعاثَ شمالاً ، يا عبادَ اللهِ ! فاثْبُتُوا). قلنا : يا رسولَ الله ! وما لُبْثُهُ في الأرْضِ ؟ قال : **(أربعون يومًا، يومٌ كسنةٍ ، ويومٌ كشهرٍ ، ويومٌ كجمعةٍ ، وسائرُ أيامِه كأيامكم)** قلنا: يا رسولَ الله ! فَذلك اليومُ الذى كسنةٍ ، أتكفينا فيه صلاةُ يوم ؟ **قال : "لا . اقدْرُوا له قَدْرَه"**. قلنا : يا رسولَ الله ! وما إسراعُه في الأرض ؟ **قال : "كالغيثِ استدْبَرَتْهُ الرِّيحُ ، فيأتى على القومِ فيَدعُوهم، فيُؤمنون به ويَستجيبون له ، فيأمرُ السماءَ فتُمْطِر ، والأرضَ فتُنْبِت ، فترَوحُ عليهم سارِحَتهم ،أَطْوَلَ ما كانت ذُرًا ، وأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا ، وأَمَدَّهُ خَواصِرَ ، ثم يأتى القومَ ، فَيَدْعُوهم ، فَيَرُدُّونَ عليه قولَه ، فَيَنْصَرِفُ عنهم ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ، ليس بأيديهم شئٌ مِن أموالِهم ، وَيَمُرُّ بالخربةِ فيقولُ لها : أخْرِجِي كُنُوزَكِ ، فَتَتبَعُه كنوزُها كيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ، ثم يدْعُو رجلاً مُمْتَلِئًا شبابًا ، فيضربُه بالسَّيفِ ، فيقطَعُه جَزْلَتَينِ رميةَ الغَرَضِ ، ثم يدعوهُ فيُقْبِلُ ، ويتهلَّلُ وجْهُه يَضْحَك ، فبينما هو كذلك إذْ بَعَثَ اللهُ المَسيحَ ابنَ مريم** [(١)] **، فينزلُ عندَ المَنَارةِ البيضاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بين مَهْرُودَتَين**

---

(١) سمى عيسى عليه السلام بالمسيح : لسياحته فى الأرض ، وقيل : لحسنه ، وقيل : لأنه مسح بالبركة حين ولد ، وقيل : لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ ، وقيل : لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن ، وقيل : المسيح أي : الصِّدِّيق وقيل : هو بالعبرانية مشيحًا ، فعرب ، وقيل : سمى مسيحًا لأنه يمسح الأرض أى : يقطعها . راجع : النهاية فى غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير [مسح] ، تعليق/ صلاح محمد عويضة – ط : دار الكتب العلمية – بيروت ط/ أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
– بصائر ذوى التمييز ١/١٣١٥ .

واضعًا كَفَّيْهِ علـى أجنحـةِ مَلَكَـيْن ، إذا طَأْطَـأَ رَأسَـهُ قَطَـرَ ، وإذا رَفَعه تحَدَّرَ منه جُمَانٌ كاللؤلؤ فلا يَحِلُّ لكـافرٍ يجـدُ ريـحَ نفسِه إلا مات ، ونَفَسُهُ ينتهِـى حيـثُ ينتهـى طَرْفُـه ، فيطلبُـه حتى يُدْرِكَهُ بباب لُدٍّ ، فيَقْتُلَه ، ثم يأتى عيسى ابـنَ مـريم قـومٌ قـد عَصَـمَهُمُ اللهُ منـه، فيمسـحُ عـن وجـوهِهم ، ويحـدثُهم بدرجاتِهم فى الجنَّـةِ ، فبينمـا هـو كـذلك إذ أوحَـى الله إلـى عيسى : أنىِّ قد أَخْرَجْتُ عبادًا لـىَ ، لا يَـدَان لأحـدٍ بقتـالهم ، فحرِّزْ عبادى إلـى الطـور، ويَبعـثُ اللهُ يـأجوجَ ومـأجوجَ(١)، وهم من كـل حَـدَب يَنْسِـلُون ، فَيمـرُّ أوائلُهـم علـى بُحَيْـرةِ طَبَرِيَّةَ ، فيشربونَ ماً فيهـا ، ويمـرُّ آخـرُهم فيقولـون : لقـد كانَ بهذه مـرةً مـاءٌ ، ويُحْصَـرُ نَبـىُّ اللهِ عيسـى وأصـحابُه حتى يكونَ رأسُ الثورِ لأحدِهم خيرًا من مائةِ دينارٍ لأحدِكم اليومَ ، فيَرْغَبُ نبىُّ اللهِ عيسى وأصحابُه

---

(١) يأجوج ومأجوج : قيل هم من ولد يافث بن نوح ، موجودون خلف السد الـذى بنـاه ذو القرنين ، وهم اثنتان وعشرون قبيلة ، بنى ذو القرنين السد على إحـدى وعشرين ، وكانت منهم قبيلة غائبة فى الغزو ، وهم الأتراك، فبقوا دون السد وسدهم نحو البلاد الشرقية الشمالية ، أما ما تقوله الملاحدة أن ما من بقعة من بقاع الأرض إلا مسحت ، ولم يوجد يأجوج ومـأجوج ، فباطـل ؛ لأن فـى الإفريقية أرض فى أربعين منزلاً لم يطؤه قدم واطئ ، وفى الحديث : أنهـم يحفرون كل يوم السد حتى يكادوا يروا منه شعاع الشمس ، ثـم ينصـرفون ويقولون غدًا نفتحه ، فإذا رجعوا من الغد وجدوه كما كان أولاً حتى يأذن الله فى فتحه فيقولون ، غدًا نفتحه إن شاء الله ، فيرجعون فيجدونه كمـا تركـوه فيفتحونه . راجع : شرح صحيح البخارى لابن بطال ٧١/١٠ ، نشر : مكتبة الرشد – السعودية – ط/ ثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

– العرف الشذى شرح سنن الترمذى للكشميرى ٣٥٢/٣ ،تحقيق/ محمود شاكر نشر : مؤسسة ضحى ط/ أولى – بدون تاريخ – حاشية السندى على صحيح البخارى ١١٢/٤ – ط : دار الفكر – بدون تاريخ .

فيرسلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ فى رقابهم ، فيُصبحُون فَرْسَى كموتِ نَفْسٍ واحدةٍ ، ثم يَهبطُ نبىُّ الله عيسى وَأصحابُه إلى الأرض ، فلا يجدونَ فى الأرض مَوْضَعَ شبرٍ إلا ملأهُ زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُم، فيرغَبُ نبىُّ اللهِ عيسى وأَصحابُه إلى اللهِ ، فيرسلُ اللهُ طيرًا كأعناقِ البُخْتِ فتحملُهم فَتطْرَحُهُم حيثُ شاءَ اللهُ ثم يُرسلُ اللهُ مطرًا لا يَكُنُّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ فيغْسِلُ الأرضَ حتى يتركَهَا كالزَّلَفَة ، ثم يقالُ للأرض : أنبتى ثَمَرتَك ، ورُدِّى بَرَكتَك ، فيومئذٍ تأكُلُ العَصابةُ من الرُّمَّانةِ ، ويَسْتظِلون بقِحْفِها، ويُبارَكُ فى الرَّسْلِ حتى إن اللِّقْحَةَ من الإبل لتكفِى الفِئَامَ من الناس ، واللِّقحةَ من البقرِ لتكفى القبيلةَ من الناس ، واللقحةَ من الغنم لتكفى الفَخْذَ من الناسِ ، فبينما هم كذلك إذْ بعثَ اللهُ ريحًا طَيبةً فتأخذُهم تحت آباطِهم ، فتَقبِضُ رُوحَ كلِّ مؤمن وكلِّ مسلم ، ويَبْقَى شِرارُ الناس ، يَتَهارَجُونَ فيها تَهارُجَ الحُمُر ، فَعَلَيْهِم تقومُ الساعةُ"[١] .

---

(١) راجع نص الحديث فى صحيح مسلم . ك : الفتن وأشراط الساعة ، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه . برقم ٢٩٣٧ .

– وصحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٦/٩ وما بعدها ، نشر : مكتبة الإيمان – المنصورة– بدون تاريخ .

التحليـل البلاغـــى

للحديث الشريف

وصفه ﷺ للدجال وفتنته

لما رأى النبى ﷺ الصحابة قد استعظموا أمر الدجال ، وظنوا قرب مجيئه ، سألهم عليه الصلاة والسلام :**(ما شأنكم ؟)** فقالوا : يا رسول الله ! ذكرت الدجال غداة ، فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا فى طائفة النخل . فقال ﷺ : **(غيرُ الدَّجَّال أَخْوَفُنِى عَلَيْكمْ ، إنْ يَخرُجْ ، وأنا فيكم ، فأنا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وإنْ يَخْرُجْ ، ولست فيكم ، فامْرُؤٌ حَجيجُ نفسِه ، والله خَلِيفَتِى على كل مسلمٍ ، إنَّهُ شابٌ قَطَطٌ ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كأنى أُشبِّهُهُ بعبدِ العُزَّى بن قَطَنٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ منكم فَلْيَقْرَأْ عليهِ فواتحَ سورةِ الكهفِ ، إنَّهُ خَارجٌ خَلَّةً بينَ الشأمِ والعراق فعَاث يمينا وعاث شمالا ، يا عبادَ الله ! فاثْبُتُوا)** .

فسأل الصحابة : يا رسول الله ! وما لبثه فى الأرض ؟ . فقال ﷺ : **(أربعون يومًا، يومٌ كسنةٍ ، ويومٌ كشهرٍ ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِه كأيامكم)** . فسأل الصحابة : يا رسولَ الله ! فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ فقال ﷺ : **(لا . اقدْرُوا له قَدْرَه)** فقالوا : يا رسول الله ! وما إسراعه فى الأرض ، فقال عليه الصلاة والسلام : **(كالغيثِ استدبَرَتْهُ الرِّيحُ ، فيأتى على القومِ فيَدعُوهم ، فيُؤمنونِ به ويَستجيبون له ، فيأمرُ السماءَ فتمْطِر ، والأرض فتُنْبت ، فترَوحُ عليهم سارحَتُهم ، أَطْوَلَ ما كانت ذُرًا ، وأسبَغَهُ ضُرُوعًا ، وأَمَدَّهُ خواصِرَ ، ثم يأتى القومَ ، فَيَدْعُوهم ، فيَرُدُّونَ عليه قولَه ، فَيَنْصَرِف عنهم ، فيُصْبحُونَ مُمْحِلينَ ، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ، ويَمُرُّ بالخربَةِ فيقول لها : أَخْرِجِى كنوزَكِ ، فتتبَعُه كنوزُها كيَعَاسِيب النَّحْلِ ، ثم يدْعُو رجلا مُمْتلِئا شبابًا ، فيضربُه بالسَّيفِ ، فيقطعُه جَزْلَتَينِ رميةَ الغَرَضِ ، ثم يدعوهُ فيُقبِل ، ويتهلَّل وجْهُه يَضْحَك)**.

فالرسول الكريم ﷺ يتعجب بطريق الاستفهام من أمر الصحابة ، وقد ذهبوا إليه آخر النهار ليسألوه عن أمر الدجال : (ما شأنكم ؟) .

وقد بادرهم عليه الصلاة والسلام بهذا التعجب ، لما رأى أمارات الخوف من فتنة الدجال تظهر على وجوههم ، ولم ينتظر حتى يسألوه ، وهذا يدل على فطنته ﷺ ، وحسن فهمه لصحابته رضوان الله عليهم .

فأجاب – رضى الله عنهم – يا رسول الله ! ذكرت الدجال غداة ، فخفضت فيه ورفعت ، أى : أكثرت فيه من الكلام حتى إنك كنت ، وأنت تتحدث عنه ، ترفع صوتك ليسمع من نأى ، ثم تخفضه لتستريح من عناء الإعلان ، أو أنك خفضت شأنه وحقَّرته، ثم عظّمت فتنته ، حتى ظنناه فى طائفة النخل القريبة منا[١] .

فأجابهم ﷺ بالأسلوب الخبرى : (غير الدجال أخوفنى عليكم) ليهون عليهم من فتنة الدجال ، ويوطن نفوسهم ، لافتًا إياهم إلى ما هو أعظم من هذه الفتنة .

---

(١) راجع فى معنى وضبط (خفضت ورفعت) : إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض ٤٨٢/٨ د/يحيى إسماعيل – نشر : دار الوفاء – المنصورة – ط/ أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

– مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضى عياض ٢٤٥/١ نشر : المكتبة العتيقة ودار التراث – بيروت – بدون تاريخ .

– المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبى ٢٧٦/٧ تحقيق / محيى الدين ديب مستو – نشر : دار ابن كثير – دمشق – ط/ أولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م

– إكمال إكمال المعلم ، ومكمل إكمال الإكمال للأبى ، والسنوسى ٣٩٣/٩ – ضبط وتصحيح / محمد سالم هاشم – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ أولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م .

و(أخوف) أفعل تفضيل من الخوف ، وقد لحقته نون الوقاية – وهى مختصة بالأفعال المتعدية – لأنه أشبه صيغ الأسماء بالأفعال ، وأصل الكلام : غير الدجال أخوف لى عليكم من الدجال[١].

وعلى هذا فإن فى الجملة النبوية : (غبر الدجال أخوفنى عليكم) إيجازًا بالحذف ، حيث حذفت اللام من (لى) وحلت نون الوقاية محلها ، فاتصل الضمير باسم التفضيل ، ثم حذفت (من) الجارة مع المفضل عليه : (من الدجال) .

وقد نقل الأبى عن ابن مالك – رحمهما الله – فى توجيه صياغة هذه الجملة ثلاثة آراء :

الأول : أن يكون التقدير : أخوف مخوفاتى عليكم غير الدجال ، فحذف المضاف إلى ياء المتكلم .

الثانى : أن يكون (أخوف) من أَخَافَ بمعنى : خَوَّفَ ، فيكون المعنى : غير الدجال أشد موجبات خوفى عليكم .

الثالث : أن يكون من وصف المعانى بما توصف به الأعيان على وجه المبالغة ، كقولهم فى الشعر الفصيح :"شِعرٌ شاعرٌ" والتقدير : خوف غير الدجال أخوف خوفى عليكم ، ثم حذف المضاف الأول ، ثم الثانى[٢].

وعلى هذا التوجيه الأخير يكون الأسلوب من باب المجاز العقلى بعلاقة المصدرية ، حيث وصف المصدر (خوف) بما توصف به الذوات (أخوف) وأسند (أخوف) إلى ضميره .

وكأن خوفه ﷺ على أمته من غير الدجال صار هو الخائف، وأصبح أشد خوفًا على الأمة الإسلامية من أى خوف آخر ، وهذا

---

(١) راجع : المفهم ٢٧٧/٧ ، وإكمال إكمال المعلم ٣٩٣/٩ .

(٢) راجع : إكمال الإكمال ٣٩٣/٩ ، ومكمل إكمال الإكمال ٣٩٢/٩ .

فيه ما فيه من المبالغة فى وصف الحدث ، وخلع صفات الأحياء عليه ، والدلالة على أن تحققه قد وصل إلى مدى .

وقال أبو البقاء رحمه الله :"ظاهر اللفظ يدل على أن غير الدجال هو المخاف ، وليس معنى الحديث هذا ، إنما معناه : أنى أخاف على أمتى من غير الدجال أكثر من خوفى منه ، فعليه يكون فيه تأويلان :

أحدهما : أن (غير) مبتدأ ، و(أخوف) خبر مبتدأ محذوف ، أى : غير الدجال أنا أخوف على أمتى منه .

الثانى : أن يكون أخوف على النسب ، أى : غير الدجال ذو خوف شديد على أمتى ، كما تقول : فلانة طالق ، أى ذات طلاق"(١).

ونظرًا لأن "أفعل" التفضيل يقتضى اشتراك شيئين فى وصف ، وقد زاد أحدهما على الآخر فيه ، فإن التعبير به هنا يوحى – كما ذهب أبو البقاء رحمه الله – بأن خوفه ﷺ على أمته من الدجال كائن وموجود ، ولكن خوفه عليها من غير الدجال أشد، وقد صرح ﷺ بالمقصود بغير الدجال فى حديث آخر ، حيث قال: "أخوف ما أخاف على أمتى الأمة المضلون"(٢) وهذا لا ينافى – كما قال ابن العربى رحمه الله – خبر :"لا فتنة

---

(١) راجع : فيض القدير ٥٣٦/٤ .

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٨١/٩ تحقيق/ محمد عبدالقادر عطا – نشر : مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م برقم : ١٨٣٩٨ .

– سنن الدارمى ٨١/١ تحقيق/ فواز أحمد زمرلى – خالد السبع العلمى – نشر : دار الكتاب العربى – بيروت – ط/ أولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م – المقدمة . ب : كراهية أخذ الرأى .

أعظم من فتنة الدجال"[١]. لأن قوله هنا : (غير الدجال ...) إنما قاله لأصحابه ؛ لأن الذى خافه عليهم أقرب إليهم من الدجال[٢].

وبعد تقرير هذا الخبر يُطمئن ﷺ أصحابه ، مبيناً لهم علة التهوين من تخويف الدجال له ﷺ عليهم ، فيستأنف الكلام قائلاً : (إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ، ولست فيكم ، فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم) .

ويبنى الكلام مبنى الشرط ، ويستخدم (إنْ) وصيغة المضارعة بعدها ؛ لتوقعه ﷺ عدم خروجه فى الحاضرين من الصحابة ، سواء أكان عليه الصلاة والسلام فيهم أم لم يكن ، فخروجه فيهم مبنى على الفرض والتقدير ؛ ولذلك استخدم النظم الشريف (إنْ) دون (إذا) لأنها هى التى تستخدم فيما لم يكن وقوعه مقطوعًا به[٣] .

يقول الطيبى رحمه الله :"فإن قيل : أوليس قد ثبت فى أحاديث الدجال أنه يخرج بعد خروج المهدى ، وأن عيسى – عليه السلام – يقتله ، إلى غير ذلك من الوقائع الدالة على أنه لا يخرج ، ونبى الله بين أظهرهم ، بل لا يراه القرون الأولى من هذه الأمة ، فما وجه قوله :إن يخرج ، وأنا فيكم ؟ قلنا : إنما سلك هذا المسلك من التورية لإلقاء الخوف على المكلفين من فتنته ، واللجأ إلى الله تعالى من شره ؛ لينالوا بذلك الفضل من الله ... ويحتمل أن يريد به

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢١/٤ مسند : المدنيين – حديث : هشام بن عامر برقم: ١٦٢٩٨٠ . نشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة – بدون تاريخ .

(٢) راجع : فيض القدير ٥٣٥/٤ .

(٣) راجع : الإيضاح للخطيب القزوينى ١١٧/٢ تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجى – ط: دار الجيل – بيروت – ط / ثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

تحقق خروجه ، يعنى : لا تشكوا فى خروجه ، فإنه سيخرج لا محالة ، وأن يريد به عدم علمه بوقت خروجه ، كما أنه كان لا يدرى متى الساعة ، والوجه الثانى من الوجهين هو الصواب ؛ لأنه يمكن أن يكون قوله هذا قبل علمه ﷺ بذلك"[١].

والطيبى هنا لم يرد بـ(التورية) التورية بمعناها الاصطلاحى المعروف فى علم البديع ، وهو أن يطلق لفظ له معنيان : قريب وبعيد ، ويراد به البعيد منهما[٢]، وإنما أراد بها فرضه ﷺ وتقديره خروج الدجال ، وهو بين أصحابه ، مع علمه بأنه لن يخرج إلاَّ فى آخر الزمان .

وقوله : وأن يريد به عدم علمه بوقت خروجه ... إلى آخره، هو الصواب كما ذهب الطيبى نفسه – رحمه الله – ويؤيده حديث ابن صياد الذى ظن ﷺ أنه الدجال لما رأى فيه أوصافه[٣].

أما قوله : ويحتمل أن يريد به تحقق خروجه ؛ فإنه لا يستقيم إلاَّ بحمل (إنْ) فى هذا المقام على معنى (إذا) .

والواو فى قوله عليه الصلاة والسلام : (وأنا فيكم) واو الحال ، والمعنى : إن يخرج حالة وجودى معكم ، والفاء فى قوله : (فأنا حجيجه) واقعة فى جواب الشرط لربط الشرط بالجواب.

و(حجيج) فعيل بمعنى فاعل ، أى : محاجه ومخاصمه ،

---

(١) راجع : الكاشف عن حقائق السنن للطيبى ١١٥/١٠ وما بعدها . تعليق / محمد على سمك – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ط / أولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

(٢) راجع : الإيضاح ٣٨/٦ .

(٣) راجع حديث ابن صياد فى : صحيح البخارى بشرح النووى ٢١٥/٩ ك : الفتن وأشراط الساعة . ب : ذكر ابن صياد . برقم : ٢٩٢٤ .

ومقاطعه بالحجة بإظهار كذبه وإفساد قوله[١].

وقد استخدم ﷺ صيغة الصفة المشبهة بدلاً من الفعل ؛ لأن الوصف بالأسماء يفيد ثبوت الوصف فى الموصوف ، بخلاف الوصف بالأفعال ، فإنه يفيد التجدد والحدوث ، والنبى ﷺ أراد أن يثبت لنفسه صفة المحاجة عن أمته على جهة الثبوت والدوام ، يقول شيخ البلاغيين رحمه الله بعدما قرر الفرق بين إثبات الشىء بالاسم ، وإثباته بالفعل :"ومتى اعتبرت الحال فى الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرًا بينا ، ولم يعترضك الشك فى أن أحدهما [أى الاسم والفعل] لا يصلح فى موضع صاحبه ، فإذا قلت : زيد طويل، وعمرو قصير . لم يصلح مكانه يطول ، ويقصر ، وإنما تقول : يطول ويقصر ، إذا كان الحديث عن شىء يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبى ونحو ذلك ، فأما وأنت تحدث عن هيئة ثابتة ، وعن شيء قد استقر طوله ، ولم يكن ثم تزايد وتجدد ، فلا يصلح فيه إلا الاسم"[٢].

وعلى هذا فالتعبير بـ(حجيجه) فى الحديث الشريف أبلغ من التعبير بالفعل (أحاجه) .

وقوله ﷺ : (دونكم) فيه إشارة – كما ذكر الطيبى رحمه الله – إلى أنه ﷺ غير محتاج فى المحاجة معه إلى معاونة معاون من أمته فى غلبته عليه بالحجة[٣] .

---

(١) راجع : المفهم ٢٧٧/٧ .

(٢) راجع : دلائل الإعجاز للشيخ / عبد القاهر الجرجانى صـ١٧٥ تحقيق الشيخ / محمود محمد شاكر – نشر : دار المدنى بجدة – ط / ثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٣) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٥/١٠ .

وقد فصل النظم الشريف جملة الشرط : (إن يخرج ، وأنا فيكم) عما قبلها لشبه كمال الاتصال ؛ لأن جملة : (غير الدجال أخوفني عليكم) تثير فى نفوس الصحابة – رضى الله عنهم – سؤالاً ، هو : لِمَ يا رسول الله كان غير الدجال أخوف لك علينا ، وقد أكثرت فى الحديث عنه حتى خفناه وظننا قربه ؟ فيأتى الجواب: لأنه (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم) والسؤال المقدر هنا سؤال عن سبب خاص ، والعلاقة بين الجملتين كالعلاقة بين السؤال والجواب ؛ ولذلك وجب فصل الثانية منهما عن الأولى، كما يفصل الجواب عن السؤال ، كما يقول الخطيب رحمه الله[١].

وبعد هذا الفصل يعطف النظم الشريف على جملة الشرط هذه جملة شرط أخرى مماثلة لها فى البناء على الشرطية ، وفى استخدام حرف الشرط (إنْ) : (وإن يخرج ، ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه) لتدلنا هذه الصياغة على تساوى الافتراضين عنده عليه الصلاة والسلام ، وتؤكد ما ذهب إليه الطيبى – رحمه الله – من احتمال قوله ﷺ هذا قبل علمه بزمن خروج الدجال .

وقد أفاد التنكير فى (فامرؤ) العموم ، أى : فكل امرىء حجيج نفسه ، والفاء واقعة فى جواب الشرط .

وجملة : (فامرؤ حجيج نفسه) خبرية فى اللفظ ، إنشائية فى المعنى ، إذ المعنى – كما ذكره القرطبى رحمه الله – فليحتج كل امرىء عن نفسه بما أعلمته من صفته ، بما يدل العقل عليه من كذبه فى دعوى الإلهية ... وفى التنبيه على النظر عند المشكلات ، والتمسك بالأدلة الواضحات[٢].

---

(١) راجع : الإيضاح ١١٩/٣ .

(٢) راجع : المفهم ٢٧٦/٧ وما بعدها .

وبين (وأنا فيكم) و(ولست فيكم) طباق سلب ، استوعب النظم الشريف من خلاله الحالتين جميعًا : حالة خروج الدجال فى ظل وجوده ﷺ ، وحالة خروجه بعد وفاته ، والطباق فى هذا الأسلوب يثبت المعنى ويقرره ، وذلك من خلال الجمع بين الضدين.

وجملة : (والله خليفتى على كل مسلم) جملة مستأنفة فيها تفويض منه ﷺ إلى الله تعالى فى كفاية كل مسلم من تلك الفتن العظيمة ، قالها ﷺ ليهدىء من روع المسلمين ، ويدخل الطمأنينة فى قلوبهم .

ومن براعة النظم فى هذه الجملة الشريفة أن قدم لفظ الجلالة ليلفت انتباه المسلمين إلى الخبر ، ويشوقهم إليه ، ثم أسند الخبر إلى لفظ الجلالة بطريق الاسمية (خليفتى) ليحيطه بشىء من الثبات والدوام ، ثم أتى بلفظ الإحاطة والشمول (كل) ليزيد من طمأنينة كل مسلم ، ويقوى استشعاره بأنه داخل فى ظلال خلافة الله لنبيه ﷺ .

ووازن بين هذه الصياغة النبوية ، وبين ما يمكن أن يؤدى معناها من كلامنا ، مثل قولنا : ويخلفنى الله فى المسلمين ، لتقف على الفرق بين كلام النبوة ، وكلام عامة البشر ، ولتجد السحر والبراعة التى وجدتها فى الجملة النبوية قد زالت واختفت ، وكأنها ضوء سراج أطفىء ، أو كما يقول الشيخ – رحمه الله – رأيت كلامًا مقلوبًا عن جهته ، ومغيرًا عن صورته ، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه[١].

---

(١) راجع : دلائل الإعجاز صـ١٤٠ .

وبعد أن هدَّأ ﷺ من روع الصحابة وطمأنهم ، أخذ فى الحديث عن الدجال ، فبدأ بوصفه : (إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن).

فأكد الخبر بـ(إنَّ) لبعده عن إدراك المخاطبين ، وعدم معرفتهم إياه ، وليقر فى نفوسهم المتطلعة لمعرفته ، ونكر (شاب) لتفخيم هذا الوصف الذى سيكون عليه الدجال عند خروجه .

و(قطط) شديد جعودة الشعر ، مباعد للجعودة المحبوبة[١] ، و(طافئة) ذهب ضوؤها ، وروى الحديث : (عينه طافية) باليـاء ، من طفا يطفو : إذا ارتفع ، يقول ابن بطال – رحمه الله – مبينًا معنى الكلمة على الروايتين :"من قرأ : طافئة ، بالهمز ، فمعناه : أن عينه مفقوءة ذهب ضوؤها كأنها عنبة نضجت فذهب ماؤها ، ومن قرأ بغير همز فمعناه : أنها برزت وخرج الباطن الأسود فيها؛ لأن كل شيء ظهر فقد طفا"[٢].

والأوصاف هنا جاءت بالاسمية للدلالة على ثبوتها فى الموصوف ثبوتًا لا ينفك .

و(كأن) فى قوله ﷺ : (كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن) للظن وليست للتشبيه ، وإنما الذى أفاد التشبيه هو الفعل (أشبهه) يقول الطيبى رحمه الله :"لم يقل كأنه عبد العزى لأنه ﷺ لم يكن جازمًا فى تشبيهه به" [٣].

---

(١) راجع : النهاية فى غريب الحديث الأثر (قطط) .

(٢) راجع : السابق (طفا) .

(٣) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٦/١٠ .

و(عبد العزى بن قطن) رجل يهودى أو مشرك ، مات فى الجاهلية[١]، وقد شبهه به ﷺ فى الهيئة والشكل ، وجعودة الشعر وبروز العين ، وتشبيهه به يدلنا على أنه مات قريبًا من ظهور الإسلام ، وأن المخاطبين من جمع الصحابة – رضى الله عنهم – كانوا يعرفونه ، وإلاَّ لما شبهه عليه الصلاة والسلام به .

والملاحظ فى وصفه ﷺ للدجال ، وفى تشبيهه له بعبد العزى بن قطن ، أنه انحصر فى الأوصاف الحسية المرئية ؛ وذلك لأن الغرض من الوصف والتشبيه هنا هو إظهار الأوصاف التى يتميز بها الدجال عن غيره ، حتى إذا ما وجدها المسلمون عرفوه بها .

وبعد هذا الوصف والتشبيه ينبه ﷺ المسلمين إلى ما ينبغى عليهم فعله إذا أدركوه ، يقول عليه السلام : (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف).

ويبدأ هذه الجملة بفاء الفصيحة التى سدت مسد شرط محذوف الأداة والفعل ، والتقدير : إن كنتم قد عرفتم أوصافه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه ... .

وقد أحدث الحذف هنا إيجازًا فى اللفظ ، وتقليلاً فى العبارة، وإثارة للخيال نحو البحث عن الجزء المفقود من الجملة .

وامتدادًا لإثارة الخيال وتنبيه المخاطبين وتشويقهم نحو الخبر يأتى التعبير بـ(مَنْ) الشرطية ، والتى أفادت العموم ، ليمتثل كل من أدرك الدجال بهذا التوجيه النبوى .

والخطاب فى (منكم) يؤكد توجيه الطيبى السابق لقوله عليه الصلاة والسلام : (إن يخرج وأنا فيكم ...) .

---

(١) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٦/١٠ .

ومن الممكن حمل الخطاب هنا على العموم ؛ ليدخل فى هذا الهدى النبوى من كان فى حضرته عليه الصلاة والسلام من الصحابة ، ومن سيخرج فيهم الدجال من بعدهم.

والأمر فى قوله ﷺ : (فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) للنصح والإرشاد ، وتقديم الجار والمجرور (عليه) على المفعول (فواتح) للعناية والاهتمام بأمر الدجال ؛ لأن سياق الحديث عنه ، فتقديمه والتركيز عليه أولى وأهم .

وصيغة الجمع فى (فواتح) توحى بأن الأمر بالقراءة يتعلق بقراءة عدة آيات من أول هذه السورة الكريمة ،وليس آية واحدة ، إذ لو قال : فليقرأ عليه فاتحة الكهف ، لتبادر إلى الذهن أن المأمور به هو قراءة الآية الأولى منها ، وهذا غير مراد ؛ لتصريحه ﷺ فى رواية أخرى بالعشر آيات(١).

يقول ابن الجوزى – رحمه الله – فى بيان سبب الأمر بقراءة فواتح الكهف :"وأما تخصيص ذلك بعشر آيات من أول الكهف ، فالذى يظهر لنا فيها من الحكمة أن قوله تعالى :﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ يهون بأس الدجال ، وقوله :﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ...﴾ يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من نعيمه وعذابه ، وقوله :﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وقوله :﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ فذم من يدعى له ولدًا ولا مثل له ، فكيف يدعى الإلهية من هو مثل

---

(١) راجع الحديث فى : مسند الإمام أحمد ١٩٦/٥ مسند الأنصار – برقم : ٢١٧٦٠ . حديث أبى الدرداء .

– وفى صحيح ابن حبان ٦٥/٣ تحقيق/ شعيب الأرنؤوط – نشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ ثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م . ك : الرقائق – ب : قراءة القرآن . برقم:٧٨٥ .

للخلق ... فقد تضمنت الآيات ما يصرف فتنة الدجال إلى قوله : ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا وسألوا صلاح أمورهم فأصلحت ، وهذا تعليم لكل مدعو إلى الشرك"(١).

ويقول الطيبى – رحمه الله – فى تعليل ذلك :"لأن الله يؤمن من قرأ عليه فواتح الكهف كما أمَّن أولئك الفتية من فتنة الدقيانوس الجبار"(٢).

ويقول المناوى رحمة الله عليه :"لما فى قصة أهل الكهف من العجائب ، فمن تدبرها لم يستغرب أمر الدجال فلا يفتن"(٣).

والذى نراه أقرب للصواب هو تعليل الطيبى – رحمه الله – لأن فى القرآن الكريم الكثير من العجائب ، ومما يهون البأس ويعين على الصبر ، غير فواتح الكهف ، كما أن تعليل الطيبى يعنى أن هذه الآيات تكون سببًا فى حصول الأمن لمن قرأها عليه ، وكأنها رقية تبطل تمويهات الدجال ، وتظهر كذبه ، والله أعلم .

وبعد وصف الدجال ، وإرشاد كل مسلم يدركه بقراءة فواتح سورة الكهف عليه ، يحدد ﷺ المكان الذى سيخرج منه تحديدًا دقيقًا، فيقول : (إنه خارج خلة بين الشأم والعراق) .

فيؤكد الخبر بـ(إن) واسمية الجملة ، ليزيده تثبيتًا وتقوية ، ويمكنه من نفوس المخاطبين تمكينًا لا يدع مجالاً للشك .

---

(١) راجع : كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى ٤١٧/١ تحقيق / على حسين البواب – نشر دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(٢) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١٦٦/١٠ .

(٣) راجع : التيسير شرح الجامع الصغير للمناوى ٨٠١/٢ نشر : مكتبة الإمام الشافعى – الرياض – ط / ثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

والتوكيد هنا كالتوكيد السابق : (إنه شاب قطط) وكلاهما لم يكن جوابًا لمنكر أو شاك ، وإنما جاء ابتداء ، وإذا كان الأمر كذلك، فإن التوكيد يكون حينئذ لدفع ما يمكن أن يحوم فى النفوس من شك أو إنكار ، يقول عبد القاهر رحمه الله :"ينبغى أن يعلم أنه كما يكون للإنكار قد كان من السامع ، فإنه يكون للإنكار يُعلم أو يُرى أنه يكون من السامعين ، وجملة الأمر أنك لا تقول : إنه لكذلك . حتى تريد أن تضع كلامك وضع من يَزَعُ فيه عن الإنكار"(١).

ويقول د / عز الدين على السيد رحمه الله :"والكلام قد يؤكد جوابًا ، ولكنه أيضًا قد يؤكد ابتداء؛ لأنه مما يُهتم به ، أو من شأنه أن يُشك فيه ، أو يُنكر لغرابته أو مفاجأته أو غيرهما"(٢).

ولأجل هذا نرى كثيرًا من علماء البلاغة المحدثين قد وسعوا أفق التوكيد ليشمل مراعاة حال المتكلم لنفسه وإحساسه بالخبر ، وحال الخبر نفسه ومكانته ، ليتجاوز عندهم التوكيد حال المخاطب التى حبسه فيها قدامى البلاغيين رحمهم الله"(٣).

---

(١) راجع : دلائل الإعجاز صـ٣٢٧ .

(٢) راجع : الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية د / عز الدين على السيد صـ٩٨ ط: دار اقرأ – بيروت – ط/ أولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

(٣) راجع فى هذه القضية : مفتاح العلوم صـ٧٤ . والإيضاح ٦٩/١ وما بعدها . وشروح التلخيص ٢٠٢/١ وما بعدها . نشر : دار الإرشاد الإسلامى – بيروت – بدون تاريخ . وخصائص التراكيب لأستاذنا د/ محمد محمد أبو موسى صـ٩١ وما بعدها . نشر: مكتبة وهبة – القاهرة – ط/ خامسة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . ودلالات التراكيب له أيضًا صـ٧١ وما بعدها . نشر : مكتبة وهبة – ط/ ثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م . من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل د/ هاشم محمد هاشم صـ٤٣ وما بعدها . ط/ أولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ . الحركة الأسلوبية لأستاذنا د/عبد الرازق محمد فضل صـ١٦ وما بعدها – مطبعة التركى – طنطا – بدون تاريخ .

و(خَلَّةً) فى الحديث الشريف بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين : الطريق بين البلدين ، وقيل للطريق والسبيل خلة ؛ لأنه خَلَّ ما بين البلدين ، أى : أخذ مخيط ما بينهما ، وقد حدد العلماء هذا المكان من خلال وصفه ﷺ بخراسان[١].

وبعد تحديد مكان الخروج يخبر ﷺ عن إفساد الدجال بطريق الإجمال والإيجاز فيقول : (فعاث يميناً وعاث شمالاً) .

والغَيْثُ : أشد الإفساد والإسراع فيه[٢] ، فاللفظة مناسبة بمعناها وجرسها لحال الدجال التى سيكون عليها من شدة الإفساد والإسراع فى الأرض ، وهى ملائمة للتشبيه التالى : (كالغيث استدبرته الريح) .

وقد عبر ﷺ عن هذا بطريق الاستعارة التبعية فى زمن الفعل ، فأتى بصيغة المضى بدلاً من صيغة الاستقبال ، إشارة إلى تحقق عيثه وفساده ، وتشبيهًا للمستقبل فى تحققه وثبوته ، بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه أو دفعه .

وكرر ﷺ الفعل والإسناد فى الجملة الثانية : (وعاث شمالاً) للنص على الفعل مرة أخرى زيادة فى التأكيد والتحقيق .

وحكاه بعضهم بصيغة اسم الفاعل فيهما ، واستحسنه الطيبى – رحمه الله – لكونه معطوفا على اسم فاعل قبله ، وهو : (خارج)[٣].

وعلى هذا فقد رتبت الفاء العيث على الخروج بلا مهلة ، ودلت على سرعة الإفساد فى الأرض بعد الخروج .

---

(١) راجع : النهاية فى غريب الحديث (خلل) . وصحيح مسلم بشرح النووى ٢٣١/٩ . والكاشف عن حقائق السنن ١١٧/١٠ .

(٢) راجع : النهاية والفائق (عيث) .

(٣) راجع : إكمال المعلم ٤٨٣/٨ ، والكاشف ١١٧/١٠ .

وعبر النظم الشريف بالظرف : (يميناً وشمالاً) إشارة إلى عموم الإفساد وانتشاره فى جميع أركان الأرض ، يقول الطيبى رحمه الله :"وإنما قال : يميناً وشمالاً ، إشارة إلى أنه لا يكتفى بالإفساد فيما يطؤه من البلاد ويتوجه إليه من الأغوار والأنجاد ، بل يبعث سراياه يميناً وشمالاً ؛ فلا يأمن شره مؤمن ، ولا يخلو من فتنته موطن"(١).

وفى الكلام إيجاز بالحذف ، والمحذوف شبه جملة ، والتقدير: فعاث فى الأرض ، وقد حقق الحذف للأسلوب دقة وإحكامًا .

والعطف فى (وعاث شمالاً) للتوسط بين الكمالين ، حيث الاتحاد بين الجملتين فى الخبرية ، وفى المسند والمسند إليه ، ولا يوجد ثم مانع من العطف "ولا شك أن هذه الصلات المحكمة بين الجملتين مع دفع الإيهام عن المعنى توثيق لعرى الكلام ، وشد لأزر مضمونه ، وإمساك بعضه بحجز بعض"(٢).

وبعد هذا الأسلوب الخبرى الكاشف عن سطوة الدجال وإفساده ، ينتقل بنا النظم الشريف إلى الأسلوب الإنشائى ، فيجمع بين نوعين منه فى جملة واحدة ، وهما النداء والأمر ، وذلك فى قوله ﷺ : (يا عباد الله فاثبتوا) .

حيث بدأت هذه الجملة الشريفة بالنداء اللافت المنبه للقلوب والعقول إلى خطورة الموقف واشتداد الأمر ، والنداء هنا بـ(يا) وليس بالهمزة ، أو أى ؛ وذلك لما فى (يا) من زيادة اللفت والتنبيه المصاحب لمد الصوت بهذا الحرف ، وما فيه أيضًا من الإشارة إلى أن ما سيأتى بعده من الأمور المهمة التى يجب استيعابها

---

(١) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٧/١٠ .

(٢) راجع : الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية صـ٢٢٨ .

والاهتمام بها ، أو كما يقول الزمخشرى رحمه الله :"للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معنى به جدًا"(١).

ونلحظ هنا مناسبة دقيقة بين صياغة المنادَى وفتنة الدجال ، حيث لم يقل ﷺ : يا أيها المسلمون ! ولا يا أيها المؤمنون ! وإنما قال : (يا عباد الله) فعبر بكلمة (عباد) بما توحيه هذه الكلمة من العبودية ، والاستجابة ، والطاعة ، ثم أضافها إضافة تشريف إلى لفظ الجلالة ، تذكيرًا للمؤمنين ، وهم فى هذا الموقف العصيب ، بأنهم عباد الله ، وإذا كانوا كذلك فقد حق عليهم الثبات على عبادة ربهم ومليكهم ، وعدم التحول إلى عبادة غيره .

والخطاب فى هذه الجملة الشريفة ليس موجهًا إلى الحضور من الصحابة وحدهم ، وإنما هو خطاب عام مخصص بمن أدرك الدجال ، بدليل الأمر : (فاثبتوا) يقول الطيبى رحمه الله :"يا عباد الله . من خطاب العام أراد به من يدرك الدجال من أمته"(٢) ويعلل – رحمه الله – لهذا النداء والطلب بما يبين سرهما البلاغى ، وإن كان ناقلاً عن غيره ، يقول :"قيل : هذا منه استمالة لقلوب أمته ، وتثبيتهم على ما يعاينوه من شر الدجال ، وتوطئتهم على ما هم فيه من الإيمان بالله تعالى والاعتقاد به ، والتصديق بما جاء به الرسول ﷺ "(٣).

وعلى هذا تكون صيغة الأمر (اثبتوا) قد خرجت عن معناها الحقيقى إلى معنى مجازى ، وهو طلب المداومة على ما هم فيه من

---

(١) راجع : الكشاف للزمخشرى ٨٥/١ شرح وضبط / يوسف الحمادى – نشر : مكتبة مصر – الفجالة – بدون تاريخ .

(٢) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٧/١٠ .

(٣) راجع : السابق والصفحة ذاتها .

ثبات على عبادة الله وحده ، فيكون المعنى : يا عباد الله ! داوموا على ما أنتم عليه من ثبات على عبادة الله .

والفاء فى : (فاثبتوا) عاطفة ، عطفت ما بعدها على فعل مقدر بعد النداء ، والتقدير : يا عباد الله ! تنبهوا فاثبتوا ، فهى فصيحة دلت على محذوف مقدر .

وفصل ﷺ جملة : (يا عباد الله فاثبتوا) عن جملة : (فعاث يميناً وعاث شمالاً) لما بينهما من كمال الانقطاع بلا إيهام ؛ لأن جملة (فعاث يمينا وعاث شمالا) خبرية لفظاً ومعنىً ، وجملة : (يا عباد الله فاثبتوا) إنشائية لفظاً ومعنىً ، ولا يوجد بينهما جامع يسوغ العطف ، ولا يوهم فصلهما خلاف المقصود "ومما لا شك فيه أن هذا النوع يحدث حركة ذهنية إلى كل من الجملتين زائدة عن أصل مفهومهما لتبين سر الفصل بينهما ، وهى شبيهة بالحركة الناشئة عن الالتفات ، ومثل هذه الحركة جديرة بتقرير المعنى والتنبيه إليه"(١).

وبعد هذا التوجيه النبوى يعود الحديث الشريف إلى أسلوب الحوار مرة أخرى ، حيث يسأل الصحابة النبى ﷺ عما يتعلق بأحوال الدجال وفتنته .

فيسألون عن مدة مكثه فى الأرض : (يا رسول الله ! وما لبثه فى الأرض ؟) والسؤال هنا حقيقى لجهل السائل بمدة لبث الدجال فى الأرض ، وانتظار الجواب من المسئول ﷺ .

ويأتى الجواب منه ﷺ جوابًا مجملاً : (أربعون يومًا) .

---

(١) راجع : إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فى كمالى الانقطاع والاتصال . د/ابراهيم على حسن داود صـ١٣ – مطبعة التركى – طنطا – ط/ أولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

ويبدأ النظم الشريف هذا الجواب بالحذف ، حيث حذف المسند إليه إيجازًا ، واختصارًا ، واحترازًا عن العبث ، واعتمادًا على ذكره فى السؤال ، والتقدير : لبثه فى الأرض أربعون يومًا ، وقد أحدث هذا الحذف تركيزًا على الجزء المهم فى الجملة ، وهو تحديد مدة لبث الدجال فى الأرض ، لأنه الجزء الذى تتعلق به أفئدة السائلين.

وبعد هذا الجواب المجمل ، يتخذ البيان النبوى البليغ طريق الإطناب ، كوسيلة لبيان ما أجمله أولاً ، فيبين لهم ﷺ مقدار هذه الأيام على طريقة التدرج من الأطول فالأقصر ، فالأقصر: (يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم) .

والإطناب هنا يسمى بالتفصيل بعد الإجمال ، وله من الخصوصيات البلاغية : أن الكلام معه يلقى أولاً على جهة الإجمال ، ثم يفصل ، والمعنى – كما يقول الخطيب رحمه الله – إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم[١].

وخلال هذا التفصيل يستخدم النظم الشريف أسلوب التشبيه لبيان مقادير هذه الأيام فى الطول ، ويقيسها على الأيام التى يعيشها الناس قبل ظهور الدجال: (يوم كسنة ،ويوم كشهر ، ويوم كجمعة).

والتشبيه هنا مجمل مرسل ، جيء به لبيان مقدار حال المشبه ، والوجه المحذوف يمكن أن يقدره كل متلقٍ لهذا البيان ، وقد أحدث حذفه للأسلوب نوعًا من الإيجاز والإثارة .

---

(١) راجع : الإيضاح ١٩٦/٣ .

وقد اختلف شراح الحديث حول تفاوت أطوال هذه الأيام هل هو حقيقة ؟ أم كناية عن الشدة التى تكون فيها .

فذهب معظم الشراح إلى أن طول هذه الأيام حقيقى ، وأن الله تعالى يخرق العادة فى تلك الأيام ، فيبطئ بالشمس عن حركتها المعتادة فى أول يوم من تلك الأيام ، حتى يكون أول يوم كمقدار سنة ، ويبطئ بالشمس حتى يكون اليوم الثانى كمقدار شهر ، والثالث حتى يكون كمقدار جمعة ، وهذا ممكن ، لا سيما وذلك الزمان تنخرق فيه العوائد كثيرًا ، خصوصًا على يدى الدجال. (١)

وذهب قوم – منهم أبو الحسين بن المنادى (٢) إلى أن الطول المقصود من التشبيه كناية عن شدة الأهوال والأحداث فى هذه الأيام ، يقول أبو الحسين رحمه الله : "المعنى : أنه يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء ، وأيام البلاء طوال ، ثم يتناقص ذلك الغم فى اليوم الثانى ، ثم ينقص فى الثالث ، ثم يُعتاد البلاء" (٣).

ونفى الطيبى – رحمه الله – حمل الكلام على الكناية ، وإن كان لابد ؛ فلا يستقيم ذلك إلا بتأويل ، يقول رحمه الله : "ولا سبيل

---

(١) راجع : المفهم ٢٧٩/٧ وما بعدها ، إكمال المعلم ٤٨٣/٨ ، إكمال إكمال المعلم ، ومكمل الإكمال ٣٤٩/٩ وما بعدها .

(٢) أبو الحسين بن المنادى هو : أحمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله أبو الحسين المنادى، سمع جده ، وأباه ، وأبا داود السجستانى ، وعبدالله بن أحمد ، ويونس المؤدب ، وروى عنه البخارى فى الجامع ، وكان ثقة أمينًا ، ثبتًا ، صدوقًا ، ورعًا ، حجة فيما يرويه .

راجع فى ترجمة : المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد للإمام / برهان الدين إبراهيم بن مفلح ٨٥/١ تحقيق د/ عبدالرحمن بن سليمان العثيمين . نشر : مكتبة الرشد – الرياض ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

– تذكرة الحفاظ للذهبى ٢٩٥/١ تحقيق / زكريا عميرات – ط : دار الكتب العلمية بيروت – ط/ أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

(٣) راجع : المفهم ٢٨٠/٧ .

إلى تأويل امتداد تلك الأيام على أنها وصفت بالطول والامتداد ؛ لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأساء والضراء ؛ لأنهم قالوا : يا رسول الله ! فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ... الحديث ، فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة : وقد تبين لنا بإخبار الصادق المصدوق ﷺ أن الدجال يبعث معه من الشبهات ، ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوى العقول عقولهم ، ويخطف من ذوى الأبصار أبصارهم ، فمن ذلك تسخير الشياطين له ، ومجيئه بجنة ونار ، وإحياء الميت على حسب ما يدعيه ، وتَقَوُّمُهُ على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب ، وتارة بالأزمة والجدب ، ثم لاخفاء بأنه أسحر الناس ، فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا بأن نقول : إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة ، إسفار بلا ظلام ، وصباح بلا مساء ... فيقعون فى حيرة والتباس من امتداد الزمان ، وتدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة فى اختلاف الليل والنهار ، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال ، ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة" (١).

وهذا توجيه جيد ، ولكن الأَوْلى حمل امتداد تلك الأيام على الحقيقة كما ذهب أصحاب الرأى الأول ؛ لدلالة نص الحديث على أن سائر الأيام عدا الثلاثة الأولى كالأيام المعتادة ، وأنه لا تكفى فى اليوم الأول صلاة يوم واحد .

بقى أن نشير إلى أن التنكير فى : (يوم – سنة – شهر – جمعة) للإفراد .

---

(١) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٧/١٠ وما بعدها .

وبعد هذا التفصيل يسأل الصحابة – رضى الله عنهم – سؤالاً ثانيًا : (فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟) فيجيب ﷺ : (لا . اقدروا له قدره) وهذا الجواب يؤكد – كما أشرنا– صحة القول بحمل تفاوت الأيام فى الطول على الحقيقة ، ومعناه – كما ذكره النووى والمباركفورى رحمهما الله – أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر ، ثم إذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب ، وكذا العشاء ، والصبح ، والظهر ... وهكذا حتى ينقضى ذلك اليوم ، وقد وقع فيه صلاة سنة ، فرائض كلها مؤداة فى وقتها . (١)

وإذا تأملنا جواب النبى ﷺ ، وجدناه مركبًا من جملتين : الأولى حذف منها جميع أركانها ما عدا حرف النفى ، والتقدير : لا تكفيكم فى ذك اليوم الذى كسنة صلاة يوم ، والحذف أبلغ لدلالة المذكور فى سؤال الصحابة على المحذوف.

والثانية جملة : (اقدروا له قدره) والأمر فيها باقٍ على حقيقته ؛ لأن تقدير أوقات الصلاة فى هذا اليوم أمر تكليفى يجب على كل مسلم يدرك الدجال ، وبقاء الأمر على حقيقته لا يفرغه من معنى النصح والإرشاد الذى يتطلبه حال الصحابة .

وبين (اقدروا) و (قدره) جناس اشتقاق زاد اللفظ جمالاً ، وأكسبه موسيقى ، وجعل المعنى معه أكثر توكيدًا وتثبيتًا .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذا المقام أن فصل بين الجملتين ؛ وذلك لما بينهما من كمال الانقطاع بلا إيهام ، إذ الأولى منهما خبرية لفظًا ومعنىً ، والثانية إنشائية لفظًا ومعنىً ، ولا توجد

---

(١) راجع : صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣١/٩ ، تحفه الأحوذى ٤١٥/٦ .

بينهما جهة جامعة تسوغ العطف ، كما لا يوقع الفصل بينهما فى إيهام خلاف المقصود .

وبعد هذا الجواب يسأل الصحابة – رضوان الله عليهم – سؤالاً ثالثًا : (وما إسراعه فى الأرض؟) – فيجيبهم ﷺ جوابًا شافيًا، بين فيه مدى ما يصل إليه إسراعه فى الأرض ، وانتقاله فيها من مكان إلى مكان ، واتخذ من أسلوب التشبيه وسيلة كاشفة لتلك السرعة الفائقة ، فقال : (كالغيث استدبرته الريح) .

فشبه إسراعه فى الأرض بإسراع الغيث ، استدبرته الريح ، وإن كان ظاهر الأسلوب يوحى بتشبيه الدجال بالغيث ، إلا أننا قدرنا الطرفين إسراعًا بإسراع ؛ لأن سؤال الصحابة كان عن إسراعه فى الأرض ، ولا يجوز تشبيه الوصف بالذات ، وإلى هذا التقدير ذهب المباركفورى رحمه الله حيث قال : "أى : يسرع فى الأرض إسراع الغيم" [١].

والتشبيه هنا مرسل ، مجمل ، مبين لمقدار حال المشبه ، لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا– كما يقول الطيبى رحمه الله – يعلمون أن له إسراعًا فى الأرض فسألوا عن كيفيته [٢].

ثم هو منتزع من واقع الحاضرين وبيئتهم كى يكونوا أكثر إدراكًا لمقدار سرعته .

والصورة هنا محسوسة ، مشاهدة ، يراها كل مخاطب ، وهذا ما جعلها أكثر تحقيقًا للغرض الذى سيقت من أجله .

و(الغيث) بمعناه الحقيقى : المطر [٣] وعلى هذا فإن الريح لا تستدبره ، وإنما تستدبر الغمام الذى هو محل له أو سبب فيه ،

---

(١) راجع : تحفة الأحوذى ٤١٥/٦ .

(٢) راجع : الكشاف عن حقائق السنن ١١٩/١٠ .

(٣) راجع : لسان العرب (غيث) .

فإطلاق الغيث هنا مقصودًا به الغمام ، مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر الحال (الغيث) وأريد به المحل (الغمام) ويجوز أن تكون العلاقة المسببية ، باعتبار أن الغيث مسبب عن الغمام ، خلافا للمباركفورى رحمه الله ، والذى جعل العلاقة السببية إذ قال : "المراد به هذا الغيم ، إطلاقا للسبب على المسبب"(١) .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذا الأسلوب أن جعل المشبه به شيئًا تتعلق به القلوب والأبصار خصوصًا وقت الجدب والمحول؛ ومن بلاغته أيضًا أن جعل الغيث مستدبرًا للريح ، أى : طالبة له من خلفه ، دافعة إياه إلى الأمام ، ليقيس إسراع الدجال فى الأرض بأقصى ما كان معروفا آنذاك من السرعات ، وهو سرعة الغمام فى اليوم العاصف .

وبعد هذا التشبيه يمضى الحديث الشريف على نمط الحكاية وسرد الأحداث ، مستطردًا إلى ذكر فتن الدجال ، وما سيكون بعده من علامات الساعة ، إشباعًا لرغبة الصحابة الذين كانوا يتطلعون إلى معرفة المزيد عما سيكون آخر الزمان من أحداث ، يقول عليه الصلاة والسلام : **(فيأتى على القوم فيَدعُوهم ، فيُؤمنون به ويَستجيبون له ، فيأمرُ السماءَ فتمْطِر ، والأرض فتُنبت ، فتروُحُ عليهم سارحتهم ، أطْوَلَ ما كانت ذُرًا ، وأسبَغَهُ ضُرُوعًا ، وأمَدَّهُ خواصِرَ ، ثم يأتى القومَ ، فيَدْعُوهم ، فيَردُّونَ عليه قولَه ، فينصَرِفُ عنهم ، فيُصْبحُونَ مُمْحِلينَ ، ليس بأيديهم شئٌ من أموالهم ، ويَمُرُّ بالخَربَةِ فيقول لها : أخرِجِي كنوزَكِ ، فتتبَعُه كنوزُها كيَعَاسِيب النَّحْلِ ، ثم يدْعُو رجلا مُمْتلِئا شبابًا ، فيضربُه بالسَّيفِ ، فيقطعُه جَزْلَتَينِ رميةَ الغرَضِ ، ثم يدعوهُ فيُقْبِل ، ويتهلَّل وجهُه يَضْحَك)** .

وإذا ما تأملنا صياغة الأفعال فى هذا الجزء من الحديث الشريف ، وكذلك فى باقى أجزائه حتى نهايته ، وجدناها قد جاءت على صيغة المضارعة للتناسب بين الصيغة وزمن الحدث ،

---

(١) راجع : تحفة الأحوذى ٤١٥/٦ .

وصيغة المضارعة فيها باقية على الأصل ؛ لأنها دالة على المستقبل ، ودلالتها على المستقبل لا تمنع استحضار الصورة بها ، يقول أستاذنا د/ محمد محمد أبو موسى : "وهذا المضارع جاء على الأصل ؛ لأنه دال على المستقبل ، ومع هذا لا يخلو من دلالة على حضور الحدث ؛ لأن دلالة الحال جزء من دلالة المضارع ، وليس الاستحضار استحضارًا من الماضى فحسب ، وإنما هو أيضًا إحضار من المستقبل" (١).

أما عن حروف العطف فى هذا الجزء فقد استخدمها النظم الشريف استخدامًا مناسبًا ، فوضع كل حرف منها الوضع الذى يقتضيه ، فاستخدم الفاء فى عطف الأحداث المتلاحقة التى لا يفصل بينها زمن طويل .

وتأمل موقع هذا الحرف فى عطف الأحداث : (فيدعوهم ، فيؤمنون به ، فتمطر ، فتنبت ، فتروح ، فيردون ، فينصرف ، فيصبحون – فيقول – فيضربه – فيقطعه – فيقبل) .

وكيف أفاد العطف به وقوع كل حدث منها بعد الحدث الذى قبله مباشرة دون فاصل زمنى .

أما الفاء فى (فتتبعه كنوزها) فهى فصيحة، أى : فتخرج فتتبع الدجال (٢).

وحينما يراد الجمع بين الأحداث نرى النظم الشريف يستخدم الحرف الموضوع لذلك ، وهو الواو ، وتأمل استخدامه فى : (فيؤمنون به ويستجيبون له) و (أطول ما كانت ذرًا ، وأسبغه

---

(١) راجع : شرح أحاديث من صحيح البخارى لأستاذنا د/ محمد محمد أبو موسى صـ٢٩٦ ، نشر : مكتبة وهبة – القاهرة – ط/ أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٢) راجع : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقارى ٣٨٤/٩ تحقيق/ صدقى جميل العطار – ط: دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
تحفه الأحوذى ٤١٦/٦ .

ضروعًا ، وأمده خواصر) لتجد الاقتران بين الإيمان بالدجال والاستجابة له ، وبين طول الذرى ، وسبغ الفروع ، وامتداد الخواصر.

ويستخدم (ثم) فى الأحداث التى تتراخى فيما بينها ، أو يقع التالي منها بعد سابقه بمهلة ، كما فى : (ثم يأتى القوم) و (ثم يدعو رجلا) و (ثم يدعوه) .

وهذه الأحداث التى استخدمت فيها (ثم) من باب عطف القصة على القصة ، وهذا يلزمه فاصل زمنى أطول من الذى يكون مع الفاء .

وهذا الجزء من الحديث الشريف فيه مقابلة كلية بين حالتى الناس تجاه الدجال ، ففريق يؤمنون به ويستجيبون له ، فيصبحون فى رغد وخصب ، وفريق يردون عليه قوله ويستمسكون بدينهم، فيصبحون فى قحط وجدب .

ويستوقفنا فى هذه المقابلة الدقة فى استخدام الكلمات الدالة فى مواضعها المناسبة ، ومن ذلك استخدام (على) التى تفيد الاستعلاء فى جانب القوم الذين سيؤمنون بالدجال ويستجيبون له : (فيأتى على القوم) وحذفها فى الجانب الآخر مع القوم الذين لا يؤمنون به : (ثم يأتى القوم) وهذا يتناسب مع طبيعة المعنى فى كلا الطرفين، إذ لما كان للدجال غلبة وظهور على القوم الذين سيؤمنون به ، ناسب ذلك أن يؤتى معه بـ (على) إشارة إلى استعلائه عليهم ، وتمكنه منهم ، ولما لم يكن له ذلك مع القوم الذين سيخالفونه ويصرون على التمسك بدينهم ، ناسبه حذف هذا الحرف.

وفى قوله ﷺ : (فيدعوهم) إيجاز بالحذف ، والمحذوف الجار والمجرور ، والتقدير : فيدعوهم إلى الإيمان به ، وقوله : فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا ، وأسبغه ضروعًا ، وأمره خواصر ، كناية – كما ذكر الطيبى رحمه الله –

عن الامتلاء وكثرة الأكل واللبن [١] والكناية هنا تلويحيه بعيدة انتقل فيها النظم الشريف من كثرة النبات وازدهار الأرض بالخضرة ، إلى شبع وامتلاء دواب القوم ، ومنه إلى ما ذكر ، فأرانا المعنى بطريق لطيف لا تراه فيه – كما يقول أستاذنا د/ أبو موسى – يدنو منك فيبتذل ، ولا يبعد عنك كثيرًا فيختفى ، وإنما تراه يلوح من بعيد محاطًا بظلال ساحرة ، وسابحًا فى غلالة كغلالة الفجر .[٢]

ويجوز حمل الكلام على الحقيقة بأن تسرح مواشيهم خماصًا، ثم تعود آخر النهار بطانًا ، قد امتلأت خواصرها وضروعها ، وامتدت ذراها .

والجمع بين (ذرًا ، وضروعًا ، وخواصر) من أجمل صور التناسب ومراعاة النظير ، ومن أبرع وأحسن صور التقسيم التى تستوعب المعانى كاملة لا تزيد عنها ولا تنقص ؛ إذ لا يوجد فى الحيوان عضو يظهر عليه شبعه غير هذه الأعضاء .

وإذا كانت السارحة : هى الماشية التى تسرح إلى المرعى أول النهار ، والرواح : الرجوع آخره [٣]فإن الجمع بينهما يعد من صور الطباق الخفى بين الفعل والاسم .

والتعبير باسم الفاعل (سارحة) بدلاً من : مواشيهم أو دوابهم التى تسرح ، فيه من اختزال اللفظ ، واختصار العبارة ، مع الوصول إلى المعنى من أقرب طرقه ، والدلالة على الحدث وصاحبه بكلمة واحدة ، ما لا يمكن أن يؤديه أسلوب آخر ، وهذا من جوامع كلمه ﷺ .

---

(١) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١١٩/١٠ .

(٢) راجع : التصوير البيانى لأستاذنا د/ محمد محمد أبو موسى صـ٤٤٧ ، نشر : مكتبة وهبة – القاهرة ط / رابعة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(٣) راجع : لسان العرب : (سرح – روح) .

وتأمل مجئ خبر الناسخ فى قوله عليه الصلاة والسلام : (فيصبحون ممحلين) على صيغة الاسمية ، بدلاً من صيغة الفعلية المؤكدة قد أمحلوا ؛ وما فى ذلك من الدلالة على ملازمة هذا الوصف – وهو الإمحال – لهؤلاء القوم مدة وجود الدجال فيهم تأكيدًا وتقوية للفتنة ، فصيغة الاسمية فى هذا السياق أقوى توكيدًا للمعنى من أداة التوكيد نفسها .

وتأمل روعة البيان النبوى وبلاغته فى تصوير حالة البؤس والفقر التى ستلم بمن يعصى الدجال ، وذلك من خلال إرداف هذا الخبر بخبر آخر تصدره النفى بـ "ليس" والذى سُلط على أموال القوم ، لتجتمع عليهم الشدائد من جهتين : الإمحال ، ونفاد الأموال.

وأعد قراءة هذه الجملة الشريفة : (فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم) وتخيل قيمة ما أداه التنكير فى (شئ) من الدلالة على عدم بقاء أدنى ما يمكن أن يُتقوت به من أموال لهؤلاء.

وتأمل موقع هذه الجملة الشريفة بين ما قبلها وما بعدها ، لتجد البلاغة النبوية قد وصلت ذروة ما يمكن أن تصل إليه بلاغة البشر ، حيث يتوهم قارئ الحديث فى بادئ الأمر أن ليس للخبر الثانى : (ليس بأيديهم شئ من أموالهم) وظيفة سوى الدلالة على نفاد أموال هؤلاء القوم ، وكأنه توكيد للخبر الأول (ممحلين) فحسب ، فإذا ما تأمل وجد مناسبة بين الخبر الأول : (ممحلين) وما ذكر قبله فى جانب القوم الذين يتبعون الدجال من إمطار السماء وإنبات الأرض ، ومناسبة الخبر الثانى : (ليس بأيديهم شئ من أموالهم) وما ذكر بعده من إخراج الأرض كنوزها واتباعها الدجال كيعاسيب النحل ، والمناسبة هنا هى الضدية .

وكأن البيان النبوى قد أراد أن يقول لنا من خلال خَبَرِى الفعل الناسخ : إن القوم الذين يردون على الدجال قوله يصبحونَ (ممحلين) فى حال خصب ونماء من يتبعونه (ليس بأيديهم شئ من

أموالهم) وكنوز الأرض تخرج أمام أعينهم تجرى وراء الدجال كيعاسيب النحل ، وفى هذا ما فيه من الدلالة على شدة فتنتهم ، وعظم مصيبتهم ، وقوة إيمانهم .

لقد استطاع البيان النبوى فى هذه الفقرة أن يجمع بطريق الاستقصاء بأسلوب المقابلة – بين حالتى الناس تجاه الدجال وفتنته، مقررًا لواقع الناس فى ذلك الزمن ، وحالهم التى سيكونون عليها ، والطبقات – كما يقول د/ عزالدين على السيد رحمه الله – مفردًا ومكررًا على سبيل المقابلة يؤكد المعانى ويقررها عند المخاطب[١].

والواو فى قوله عليه الصلاة والسلام : (ويمر بالخربة) يجوز أن تكون حالية ، فيكون تقدير الكلام : فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ حالة مروره بالخربة وقوله لها :أخرجى كنوزك .

ويجوز أن تكون استئنافية استؤنف بها كلام جديد عما قبلها، ويجوز أن تكون عاطفة للجملة بعدها على جملة : (ثم يأتى القوم) من باب عطف القصة على القصة ، وأرجح كونها حالية على كونها استئنافية أو عاطفة .

وفى قوله عليه الصلاة والسلام : (ويمر بالخربة) إيجاز بالحذف ، والمحذوف هنا هو الموصوف ، والتقدير : ويمر بالأرض الخربة ، والسر البلاغى من وراء هذا الحذف هو التركيز على الوصف لأنه مناط العجب والاستغراب ، إذ ينبع الخير من حيث لم يكن متوقعًا .

وصيغة الأمر فى قوله ﷺ حكاية عن الدجال للأرض الخربة : (أخرجى كنوزك) باقية على حقيقتها ؛ لأنها صادرة منه إليها على وجه الاستعلاء والتمكن مع انتظار تنفيذ ما أمر به .

ونلحظ هنا تحول سمت الكلام من الأسلوب الخبرى فى : (فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت) إلى الأسلوب الإنشائى

---

(١) راجع : الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية صـ٢٣٩ .

الصريح : (أخرجى كنوزك) إذا لو جرى الكلام على سمت واحد ، لقيل : ويمر بالخربة فيأمرها بإخراج كنوزها .

وهذا من بلاغة البيان النبوى فى تلوين الأساليب وتنويعها ، كى تجذب الانتباه ، وتستحوذ على مجامع الحس والإدراك لدى المتلقى.

ومن بديع النظم النبوى وبلاغته فى هذا الحديث الشريف ذلك التشبيه الرائع فى قوله ﷺ : (فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) .

حيث شبه كنوز الأرض ، وهى تابعة للدجال ، بيعاسيب النحل ، وهو تشبيه مرسل ، مجمل ، مبين لحال المشبه من الكثرة، والاتباع ، والسرعة بتدقيق واندفاع .

وقد أدى حذف الوجه إلى فتح باب واسع من التخييل والإثارة عند المتلقى بحثًا عن الوجه المحذوف الذى يجمع بين الطرفين ؛ لتذهب فى تقديره كل نفس المذهب الذى تراه ، مع تقليل اللفظ ، وإيجاز العبارة .

و(اليعسوب) فى الأصل : ذكر النحل وأميرها [١]، وفى المثل : بكر بُكور اليعسوب ، يريد أمير النحل ؛ لأنها تتبعه غدوة إلى عملها [٢].

ونظرًا لأن التشبيه بالعيسوب نفسه لا يحقق الغرض من التشبيه ، وهو بيان حال المشبه من الكثرة والتتابع ، فقد تأول علماء مشكل الحديث وغريبه وشراح الحديث هذا التشبيه بما يحقق الغرض منه ، فقال بعضهم بأن فى الكلام نوع قلب ، وحق الكلام: فتتبعه كنوزها كنحل اليعاسيب ، وقال بعضهم ، المراد : جماعة

---

(١) راجع : الفائق ، ولسان العرب (عسب) ، وغريب الحديث لابن الجوزى ٩٥/٢ ، تحقيق : د/ عبد المعطى أمين قلعجى – ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ أولى – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٢) راجع : الحيوان للجاحظ ٤١٧/٥ ، تحقيق : د/ عبدالسلام محمد هارون – ط: دار الجيل – بيروت ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

النحل لا ذكورها خاصة ، لكنه كنى عن الجماعة بالعيسوب ، وهو أميرها ؛ لأنه متى طار تبعته جماعته ، وقال فريق ثالث : ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كلَّ واحد منهم طائفةٌ من النحل ، فتراها جماعات فى تفرقة ، فالكنوز تتبع الدجال كذلك ، وقال فريق رابع : معناه يتبع الدجال كنوز الأرض كما تتبع اليعسوب النحلَ ، وهو كناية عن سرعة اتباعه (١).

وهذه توجيهات سديدة ، ولكن يؤخذ عليهم – رحمهم الله – جعل إطلاق اليعسوب على جماعة النحل من باب الكناية ، وهو من باب المجاز المرسل بعلاقة إطلاق اسم الخاص على العام ، كما يؤخذ عليهم كذلك حمل الأسلوب على الكناية عن السرعة ، والسرعة هى وجه من وجوه الشبه التى يمكن تقديرها فى هذا التشبيه ، وليست من باب الكناية الاصطلاحية .

ونعود للنص الشريف لنجد التنكير فى (رجلاً) قد أفاد الإبهام، أى : يدعو رجلاً أى رجل .

وإن كان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام كما ذهب كثير من شراح الحديث (٢) ، فالتعبير عنه بالتنكير دون النص عليه باسمه فلعدم اهتمام الناس بتعيينه ، إذ لا يتعلق بتعيينه غرض بلاغى ، وإنما الاهتمام هنا بالحدث دون الأشخاص الذين سيقع عليه .

---

(١) راجع : غريب الحديث لابن قتيبه ٧٧/٢ تحقيق : د/عبدالله الجبورى – ط: العانى – بغداد – ط:أولى ١٣٩٧هـ – غريب الحديث للخطابى ٩/٢ ، تحقيق: د/ عبدالكريم إبراهيم الغرباوى – نشر : جامعة – أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

– إكمال المعلم ٤٨٤/٨ . والمفهم ٢٨٢/٧ . والكاشف عن حقائق السنن ١١٩/١٠ . ومرقاة المفاتيح ٣٨٤/٩ .

(٢) راجع : شرح السنة ٥٢/١٥ . شرح سنن ابن ماجة ٢٩٩/١ . فتح البارى ٢٧٧/١ .

وفى قوله ﷺ : (ممتلئًا شبابًا) استعارة بالكناية ، وكأن هذا الرجل الذى يأتى به الدجال ليضربه بالسيف ، ليس شابًا فحسب ، وإنما صار إناء ملئ بالشباب ، والشباب صار فيه كالشراب الذى يرى ، وفى هذا ما فيه من المبالغة فى صف هذا الرجل بتلك الصفة ، مع الإيجاز ، وإثبات الصفة لضمير الموصوف على جهة الثبوت واللزوم من خلال التعبير بالاسم المشتق ، وقد زاد الوصف تفخيمًا وتعظيمًا مجيئه تمييزًا على صيغة التنكير .

و(جزلتين) قطعتين ، و(رمية الغرض) يريد به أن بُعد ما بين القطعتين رمية الغرض ، كأنه قال : فيفصل بين نصفيه فصلاً مثل رمية الغرض ، وقيل : معناه وصف الضربة ، أى تصيبه إصابة رمية الغرض ، وقيل : يفصل نصفيه ويمشى بينهما [١].

وعلى هذا فالأسلوب من قبيل التشبيه البليغ ، حيث شبه ﷺ قطع الدجال لهذا الرجل بقطع الرمية أو السهم للهدف الذى رمى به، أو شبه إصابة الدجال له بإصابة الرمية للغرض .

ومن بلاغة النظم فى توكيد المعانى أن والى عليه الصلاة والسلام فى هذه الجملة التعبير بالمفعول المطلق : (جزلتين رمية الغرض) ليقرر ويؤكد حدوث هذه الفتنة على يدى الجال ، والتى تعد تمهيدًا لما هى أكبر منها ، وهى إقبال هذا الشاب بعد دعوة الدجال إياه حيًا كما كان ، وفائدة التقييد برمية الغرض – كما ذكر القارى رحمه الله – أن يظهر عند الناس أنه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة [٢].

والواو فى (ويتهلل وجهه) واو الاستئناف ، والضمير فيه يعود على الدجال ، كأنه يفرح – كما قال ابن الجوزى رحمه الله – بما جرى على يديه من إحياء الميت [٣].

---

(١) راجع : الفائق ، والنهاية (جزل) ، وراجع : شرح السنة للبغوى ٥٦/١٥ .

(٢) راجع : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٨٥/٩.

(٣) راجع : كشف المشكل ٤٢٠/١ .

وعلى هذا فالفصل بين هذه الجملة ، والجملة التى بعدها (يضحك) لكمال الاتصال ؛ لأن الثانية منهما نزلت منزلة التوكيد اللفظى للتى قبلها .

وجعل القارى – رحمه الله – الضمير فى : (وجهه – ويضحك) للرجل الشاب ، والجملة حال من الضمير فى (يقبل) [١].

والصواب أن الواو للاستئناف ، والضمير يعود على الدجال؛ لأنِ الجملة فعلية ، وفعلها مضارع مثبت ، ولو أريد مجيئها حالاً من الرجل الشاب لأسقطتِ الواو ؛ لأن جملة الحال إذا كانت فعلية ، وكان فعلها مضارعًا مثبتًا لا تكاد تأتى مقترنة بواو الحال ، بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو كما يقول عبدالقاهر رحمه الله [٢].

---

(١) راجع : مرقاة المفاتيح ٣٨٥/٩ .

(٢) راجع : دلائل الإعجاز صـ٢٠٤ .

نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال
وخروج يأجوج ومأجوج ونهايتهم

وأثناء فتنه الدجال ينزل عيسى عليه السلام ، فيقتل الدجال ، ثم يحرز عباد الله إلى الطور بأمر الله ، ثم يبعث الله يأجوج ومأجوج، فيأتون على كل ما على الأرض ، ويحصر عيسى عليه السلام وأصحابه ، فيدعون الله بإهلاك يأجوج ومأجوج فيهلكهم ، يقول ﷺ : **(فبينما هو كذلك إذْ بَعَثَ اللهُ المسيحَ ابنَ مريم ، فينزلُ عندَ المَنارةِ البيضاءِ شرْقِيَّ دِمَشْقَ ، بين مَهْرُودَتين ، واضعًا كَفَّيْهِ على أجنحةِ مَلَكَيْن ، إذا طَأْطَأَ رَأسَهُ قَطَرَ ، وإذا رَفَعه تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نَفَسِه إلا ماتَ ، ونَفَسُهُ ينتهى حيثُ ينتهى طَرْفُه ، فيطلبُه حتى يُدْرِكَهُ بباب لُدٍّ ، فيَقْتُلُه ، ثم يأتى عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عَصَمَهُمُ اللهُ منه ، فيمسحُ عن وجوهِهم ، ويحدثُهم بدرجاتِهم فى الجنَّةِ ، فبينما هو كذلك إذَ أوحى الله إلى عيسى : أنىِّ قد أَخْرَجْتُ عِبادًا لِىَ ، لا يَدَان لأحدٍ بقتالهم ، فحرِّزْ عبادى إلى الطورِ ، ويبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون ، فيمرُّ أوائلُهم على بُحَيْرةِ طَبَرِيَّةَ ، فيشربونَ ما فيها ، ويمرُّ آخرُهم فيقولون : لقد كان بهذه مرةً ماءٌ ، ويُحْصَرُ نَبىُّ اللهِ عيسى وأصحابُه حتى يكونَ رأسُ الثورِ لأحدِهم خيرًا من مائةِ دينارٍ لأحدِكم اليومَ ، فيَرْغَبُ نبىُّ اللهِ عيسى وأصحابُه ، فيرسلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ فى رقابهم ، فيُصبِحُون فَرْسَى كموتِ نَفْسٍ واحدةٍ)** .

ويبدأ ﷺ بفاء العطف التى عطفت قصة عيسى عليه السلام على قصة الدجال ، ثم يأتى الظرف الدال على تخلل حدث حدثًا آخر (بينما) فنزول عيسى عليه السلام تخلل فتنة الدجال ، وأصل الظرف (بين)

ثم أشبعت الفتحة فصارت ألفًا ، ثم زيدت الميم فصارت الكلمة (بينما) ، وقيل : إن أصله : (بين) وهو للمكان ، وقيل : للزمان ، وقيل : بحسب ما يضاف إليه ، فإن لحقته (ما) أو الألف عرض عليه الزمان ، و(إذ) بعده للمفاجأة [١] ، والمفاجأة هنا هى المفاجأة بالحدث ، وهو بعث عيسى عليه السلام أثناء فتنه الدجال .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذا المقام أن بدأ هذه الفقرة بـ (بينما) والتى تمتاز عن غيرها بلفت المتلقى ، وجذب انتباهه لما سيأتى بعدها ، وذلك لما فيها من عنصر المفاجأة ، ووازن بين هذا الأسلوب ، وبينه لو قيل : ثم بعث الله عيسى ابن مريم ؛ لتجد أن اللفت والتنبيه الذى كان مع (بينما) قد اختفى وراء هذه الصياغة.

وتأمل قيمة التعبير بصيغة المضى فى (بعث) وما أضفاه من تحقيق وتأكيد لبعث عيسى عليه السلام أثناء فتنة الدجال ، وكأن ذلك البعث قد وقع فيما مضى ، وهذه خاصية من خصائص الاستعارة فى زمن الأفعال كما أسلفنا .

وبعد هذه الصياغة يعود النظم الشريف إلى الصياغة الطبيعية المباشرة ، فيعبر بصيغة المضارعة : (ينزل) ليلائم بين الحدث وزمنه ، ويستحضر لنا صورة المسيح عليه السلام ، وهو نازل عند المنارة البيضاء فى ثوبين جميلين ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين من ملائك الرحمن .

وتأمل الدقة النبوية فى تحديد مكان النزول ، وهيئة النازل عليه السلام ، ووصفه وصفًا دقيقًا بألفاظ بلغت غاية العذوبة

---

(١) راجع : شرح المفصل لابن يعيش ٩٩/٤ ط: عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ وهمع الهوامع للسيوطى ٢٠٣/٢ تحقيق : د/ عبدالمجيد هنداوى ، نشر : المكتبة التوفيقية – مصر – بدون تاريخ .

والرقة، ورسمت صورته عليه السلام – وهى صورة حقيقية – رسمًا يملأ النفوس أنسًا وشوقًا إلى أن تراها .

وراجع قوله ﷺ : (فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهرودتين ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ) لتجد وصف المنارة بالبياض ، ثم وصف عيسى عليه السلام بشبه الجملة : (بين مهرودتين) أى : شقتين أو حُلتين ، والمهرود : الثوب المصبوغ ، يصبغ أولا بالوَرْس ، ثم بالزعفران ، فيجئ لونه مثل لون الحوذانة [١].

ثم وصفه بالحال : (واضعًا كفيه على أجنحه ملكين) وهى وصف لصاحبها فى المعنى ، ثم وصفه بالجملة الشرطية المتحققة الوقوع: (إذا طأطأ رأسه قطر) ثم وصفه بجملة مماثلة لها معطوفة عليها : (وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ) وذلك لبيان هيئة عيسى التى سينزل عليها بيانًا دقيقًا .

وتأمل الدقة فى تصوير حاله عليه السلام ، وهو نازل واضعًا كفيه على أجنحة الملكين ، وذلك من خلال استخدام الحال : (واضعًا) اسمًا مشتقًا على صيغة الفاعل ، بدلاً من بنائها على صيغة المضارعة التى تقتضى مزاولة الوضع شيئًا فشيئًا ، والتى إن جئ بها دلت على القلق والاضطراب وعدم الثبات فى وضع اليدين على أجنحة الملكين.

ثم تأمل قيمة التعبير بصفة الجمع فى (أجنحة) وكأنه عليه السلام يستمسك بجميع أجنحة الملكين ، أو كأن أجنحتهما طويت له ،

---

(١) راجع : الفائق ، والنهاية (هرد) والورس : شئ أصفر مثل اللطخ يخرج على الرمث بين آخر الصيف وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه . لسان العرب (روس) . والحوذانة : نبات له زهر أصفر . لسان العرب (حوذ) .

وصارت جناحًا واحدًا فى كل طرف ، ليسهل الاستمساك بها ، ويؤمن السقوط .

وتأمل روعة البيان النبوى فى بناء جملتى الشرط ، واختيار الألفاظ التى شكلت كلاً منهما .

حيث استخدم (إذا) للدلالة على تحقيق حدوث طأطأة الرأس ورفعه ، وحذف المفعول للعلم به ، تحقيقًا للإيجاز ، واعتمادًا على فهم المخاطبين ، والتقدير : قطر عرقًا .

وفى المقابل عبر بـ (رفعه) ليطابق بينه وبين (طأطأ) ويجمع بين الحالين ، ويُفصَّل الجواب الذى يتحقق عند تحقق كل من الشرطين .

ثم تأمل الدقة فى التعبير بـ (تحدر) فى حالة رفع الرأس ، وكان قد عبر بـ (قطر) فى حالة طأطأته ، وذلك لأن الانحدار يكون من مسافة أعلى ، يقال : حدرته من علو إلى سفل فانحدر[١]، وأيضًا فإن رفع الرأس يستلزم انحدار قطرات العرق على الوجه والرقبة ، أما فى حالة الخفض فتقطر من الرأس على الأرض مباشرة ، مع دلالة صيغة التضعيف (تحدَّر) على التدفق بكثرة وعزارة .

ولا يخفى أن الشرط يعد عنصرًا مهمًا من عناصر التشويق التى تنبه المخاطب ، وتجعله متطلعًا لعقبى الكلام بعد أداة الشرط، ولذلك كثر أسلوب الشرط فى الحديث الشريف كثرة ملفتة ، يقول د/ بسيونى فيود : "وفى الحديث النبوى الشريف كثرت الجمل الشرطية ، ونجد الشرط فيها مشوقًا للجواب ، إذ يتطلع المخاطب

---

(١) راجع : أساس البلاغة للزمخشرى (حدر) .

عند سماع الشرط إلى معرفة جوابه ، ويظل مترقبًا له حتى يقف عليه فيتمكن فى ذهنه" . (١)

ويستوقفنا فى جملة الشرط الثانية أسلوب الاستعارة التصريحية والتشبيه فى : (جمان كاللؤلؤ) واللذان استعان بهما النظم ليرسم من خلالهما صورة جميلة خلابة لحبات عرق المسيح عليه السلام ، وهى منحدرة من رأسه .

و(الجُمان) : حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار(٢) . وعلى هذا فالغرض من الاستعارة تشبيه قطرات عَرَق عيسى عليه السلام بالجمان فى كبر الحجم ، والغرض من تشبيه الجمان باللؤلؤ : وصف هذه القطرات بالصفاء والحسن وشدة البياض ، يقول الطيبى رحمه الله : "شبهه بالجمان فى الكبر ، ثم شبه الجمان باللولؤ فى الصفاء والحسن ، فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن. (٣)

وبهذا الأسلوب الجامع بين الاستعارة والتشبيه ، استطاعت البلاغة النبوية أن ترينا صورة حبات عرق المسيح عليه السلام ، وقد انحدرت من رأسه صافية فى توالٍ مستمر ، كأجمل ما يكون من حبات اللؤلؤ الفضية المنخرطة من عقدها .

والفاء فى قوله ﷺ : (فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات) فصيحة أغنت عن شرط محذوف ، والتقدير : فإذا بعث الله عيسى عليه السلام فلا يحل لكافر ...

---

(١) راجع : التشريق فى الحديث النبوى د/ بسيونى عبدالفتاح فيود صـ ٨٨ . مطبعة الحسين الإسلامية – القاهرة – ط/ أولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

(٢) راجع : لسان العرب : (جمن) .

(٣) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١٢٠/١٠ .

والأسلوب مع فاء الفصيحة أكثر إيجازًا ودقه ولفتًا للمتلقى إلى البحث عن المحذوف .

و (لا يحل) لا يمكن ، ومعناه عند القاضى والقرطبى – رحمهما الله – حق وواجب ، فهو على حد قوله تعالى : (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) [١]أى واجب ذلك ولازم ، وقيل : معناه: لا يمكن [٢].

ويرى الطبيى – رحمه الله – أن معناه : لا يحصل ، أو لا يحق أن يجد من ريح نفسه ، وله حال من الأحوال إلا حال الموت[٣].

وعلى هذا فأسلوب القصر فى الجملة الشريفة من باب قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا ، إذ المنفى فيه عام ، وموت الكفار بريح نفس عيسى عليه السلام مطابق لواقع هذا اليوم، والتنكير فى (كافر) للعموم والشمول .

والواو فى قوله عليه السلام : (ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه) واو الحال ، وجئ بالجملة بعدها لبيان حال انتشار نفس عيسى عليه السلام من حيث البعد ، وهى جملة حقيقية مقررة لوصول نفس عيسى عليه السلام إلى حيث يصل بصره ، وهذا يعنى – كما ذكر القرطبى رحمه الله – أن الله تعالىَ قوّى نفس عيسى عليه السلام حتى يصل إلى المحل الذى يصل إليه إدراك بصره ، فمعناه أن الكفار لا يقربونه ، وإنما يهلكون عند رؤيته ووصول نفسه إليهم تأييدًا من الله وعصمة ، وإظهار كرامة ونعمة [٤].

---

(١) الأنبياء : ٩٥ .

(٢) راجع : إكمال المعلم ٤٨٦/٨ ، والمفهم ٢٨٤/٧ .

(٣) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١٢٠/١٠ .

(٤) راجع : المفهم ٢٨٤/٧ .

والفاء فى قوله عليه الصلاة والسلام : (فيطلبه حتى يدركه بباب لد) عاطفة تعقيبية ، جئ بها لعطف جملة : (يطلبه) على جملة : (ينزل عند المنارة البيضاء) على وجه يفيد المسارعة فى الطلب بعد النزول ، ومثلها الفاء فى : (فيقتله) .

أما (ثم) فى قوله ﷺ : (ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم) فهى مثل الفاء فى إفادة العطف ، لكن العطف بها يفيد أن إتيان هؤلاء القوم عيسى عليه السلام سيقع بعد قتله المسيح الدجال بمهلة تتيح لهم معرفة مكانه والوصول إليه ، ولذلك آثرها النظم الشريف على الفاء .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذه الجملة أن قدم المفعول (عيسى) على الفاعل (قوم) ليناسب بين الصياغة ومراتب الأشخاص من حيث الأهمية ، فالحديث الشريف يتحدث فى هذا الجزء عن نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ، وليس عن القوم الذين عصمهم الله منه ، فالخبر فى هذا الجزاء من الحديث مبنى على عيسى عليه السلام ، ولذلك كان تقديمه مع أنه وقع فى النظم الشريف مفعولاً به .

ولك أن تتخيل ما أداه التنكير فى (قوم) من تعظيم وتفخيم لأمر هؤلاء القوم الذين تمسكوا بالله واعتصموا به ، فعصمهم الله من فتنة الدجال .

وعبر النظم الشريف بـ (قد) الداخلة على صيغة المضى : (قد عصمهم الله) ليفيد تحقق العصمة لهؤلاء ، وأسند العصمة لله تعالى إسنادًا مباشرًا ببناء الصيغة للفاعل ، ليصرح بالعاصم سبحانه ، إشارة إلى أنه لا عاصم فى ذلك الزمن من فتنة الدجال إلا هو ، وفى الحديث : (من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فوالله

إن الرجل ليأتيه ، وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات) [١].

واختلف فى المسح فى قوله ﷺ : (فيمسح عن وجوههم) فقيل: إنه حقيقى ، ليزيل عنهم ما أصابهم من غبار سفر الغزو ووعثائه ، مبالغة فى إكرامهم ، وفى اللطف والتحفى بهم ، وقيل : هو كناية عن كشف ما يكونون فيه من شدة وخوف [٢].

واختار القرطبى – رحمه الله – حمل الأسلوب على الحقيقة، وتبعه فى ذلك الأُبى والسنوسى رحمهما الله [٣].

والذى أميل إليه حمل الأسلوب على الكناية ؛ لأنه أنسب لحديثه عليه السلام معهم وإخبارهم بدرجاتهم فى الجنة . والله أعلم.

والفاء فى : (فيمسح) للترتيب والتعقيب ، وعطف جملة : (يحدثهم) على جملة : (فيمسح) لما بينهما من التوسط بين الكمالين؛ لأن كلتيهما خبرية لفظاً ومعنىً ، والمسند إليه فيهما واحد ، ولا يوجد بينهما مانع من العطف .

---

(١) راجع الحديث الشريف فى : سنن أبى داود ١٩٧/٤ ك : الملاحم .
ب: خروج الدجال – نشر : دار الكتاب العربى – بيروت – بدون تاريخ – برقم : ٤٣٢١ .
– ومسند الإمام أحمد – حديث : عمران بن حصين ٤٣٢/٤ برقم : ١٩٨٨٨ نشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة – بدون تاريخ .
– كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للبرهان فورى ٣٠٤/١٤ . ك : الفتن .
ب: خروج الدجال برقم : ٣٨٧٧١ تحقيق / بكرى حيانى – صفوت السقا – نشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ خامسة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

(٢) راجع : إكمال المعلم ٤٨٦/٨ ، والمفهم ٢٨٤/٧ ، والكاشف عن حقائق السنن ١٢١/١٠.

(٣) راجع : إكمال إكمال المعلم ، ومكمل إكمال الإكمال ٤٠٠/٩ .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذا المقام أن عبر بالتحديث بدلاً من الإخبار ؛ وذلك لأن التحديث ما كان خبرين فصاعدًا ، إذا كان كل واحد منهما متعلقًا بالآخر ، وسمى حديثًا لأنه لا تقدم له ، وإنما هو شئ حدث [١] . وهذا يتناسب مع كلام عيسى عليه السلام معهم ، وتحديثهم حديثًا طويلاً عن درجاتهم فى الجنة لم يكن لهم علم بمضمونه ، واللام فى (الجنة) للعهد الذهنى .

وأتى النظم الشريف بالظرف (بينما) فى قوله عليه الصلاة والسلام : (فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى) ليشير إلى أن وحى الله إلى عيسى بخبر هؤلاء العباد كان أثناء مسحه على وجوه المؤمنين والحديث معهم عن درجاتهم فى الجنة ، ولينقل المتلقى من متابعة مشهد عيسى عليه السلام مع أصحابه ، إلى مشهد مفاجأة عيسى بوحى الله إليه .

وتأمل مناسبة التعبير بالاسم الظاهر بدلاً من الضمير فى : (إذ أوحى الله إلى عيسى) لتعلق الخبر بعيسى عليه السلام ، ولو جرى الأسلوب على مقتضى الظاهر لقيل : فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إليه .

وتأمل أسلوب الإيضاح بعد الإبهام فى وقوع جملة الوحى : (أنى قد أخرجت ..) بعد جملة : (إذ أوحى الله إلى عيسى) وما أفاده ذلك من إيضاح المعنى وتقريره فى ذهن المخاطب بعد تشويقه إليه " والمعنى مع الإيضاح بعد الإبهام يرى فى صورتين مختلفتين فيتمكن فى النفس فضل تمكن ؛ لأن الكلام

---

(١) راجع : الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى صـ٣٧ تحقيق/ عماد زكى البارون – نشر : المكتبة التوفيقية – القاهرة – بدون تاريخ.

إذا قرع السمع على جهة الإبهام ذهب السامع فيه كل مذهب ، فإذا وضح تمكن فى النفس فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم" (١).

وأكد جملة الوحى بـ (أنَّ) و (قد) الداخلة على الفعل الماضى ، لغرابة الموحى به وبعده عن عيسى عليه السلام ، وعدم علمه به ، ونكر (عبادًا) للإبهام والتكثير .

والتعبير بـ (يدان) فى هذه الجملة مجاز مرسل علاقته السببية ، إذ المعنى : لا قدرة لأحد بقتالهم ، والتثنية فيه للمبالغة ، يقول الطيبي رحمه الله : " لا يدان : معناه لا قدرة ولا طاقة ؛ لأن المباشرة والدفاع إنما يكون باليد ، وثنى مبالغة ، كأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه" (٢).

ودل التنكير فى (أحد) على العموم ، أى : لا قدرة لأى أحد على قتالهم ، ولو كان نبيًا إلا بإذن الله .

والفاء فى : (فحرز) فصيحة سدت مسد شرط محذوف ، والتقدير : فإذا كان الأمر كذلك فحرز عبادى ، ويجوز أن تكون عاطفة من باب عطف المعنى على المعنى ، كما ذهب الزمخشرى رحمه الله فى عطف الإنشاء على الخبر (٣).

وهذا الذى قلناه فى الفاء هنا ، ينطبق على الفاء فى قوله عليه الصلاة والسلام : (أخرجى كنوزك . فتتبعه كنوزها) .

وقد علق أستاذنا د/ محمد محمد أبو موسى على مثل هذا العطف بقوله : "إنه من باب عطف المعنى على المعنى فلا تطلب

---

(١) راجع : علوم البلاغة د/ مصطفى المراغى صـ٢٣٥ ط: دار الآفاق العربية ط/ أولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٠م .

(٢) راجع : الكاشف عن حقائق السنن١٠/١٢١ .

(٣) راجع : رأى الزمخشرى فى عطف الإنشاء على الخبر فى تعليقه على آيات البقرة : (إن كنتم فى ريب ...) الآيات ٢٣ : ٢٥ فى الكشاف ١/٩٩ .

فيه المشاكلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وفى هذه الفاء معنى الترتيب ، ومعنى السببية" [١].

والأمر فى (حرز) باقٍ على حقيقته ، واجب التنفيذ للنجاة من يأجوج ومأجوج ، والمقصود بـ (عبادى) المؤمنون ، والإضافة فيه للتشريف ؛ ولهذا كانت المخالفة الأسلوبية فى التعريف والتنكير بينه وبين سابقه (عبادًا لى) .

وعطف الفعل : (يبعث) على الفعل : (أخرجت) يدل على أن (أخرجت) ماضٍ لفظاً ، مضارع معنىً ،إذ التقدير– والله أعلم – إذ أوحى الله إلى عيسى أنى سأخرج عبادًا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز ... ويبعث الله يأجوج ومأجوج .

وعلى هذا يجتمع التعبير بأسلوب الاستعارة فى زمن الفعل ، مع التعبير بـ (أنّ) و (قد) ليصل الكلام إلى أقصى غايات التأكيد والتحقيق.

وفى الكلام إيجاز بالحذف ، والمحذوف هنا جملة كاملة ، والتقدير : فحرز عبادى إلى الطور ، فيحرز عيسى عليه السلام عباد الله إلى الطور ، فيبعث الله يأجوج ومأجوج ، لكن جئ بالواو بدلاً من الفاء فى (ويبعث) للدلالة على قرب البعث من التحريز ، حتى كأنهما يجتمعان .

وقوله ﷺ : (وهم من كل حدب ينسلون) مقتبس من قوله تعالى : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) [٢] جئ به ليوضح حال يأجوج ومأجوج ، وهم منحدرون من مرتفعات الأرض ، منتشرين فى كل مكان .

---

(١) راجع : شرح أحاديث من صحيح البخارى ، صـ١٣٣ .

(٢) الأنبياء : ٩٦ .

والفاء فى قوله ﷺ : (فَيمرُّ أوائلُهم على بُحَيْـرةِ طَبَرِيَّـةَ ، فيشربونَ ما فيها ، ويمرُّ آخرُهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة مـاءٌ) تعقيبية عاطفة للأحداث على جهة السرعة .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذه الفقـرة أن أتـى بمفعـول (يشربون) معرفًا بالموصولية (ما) ولم يوضح إبهامها بذكر الماء ؛ لدلالة يشربون عليه ، وهذا أبلغ فى الدلالة على شربهم كل ما فيها من ماء ، من قولنا : فيشربون ماءها .

وهذه الجملة كناية عن كثرة يأجوج ومأجوج التى تملأ وجه الأرض ، حتى إن آخرهم لا يرى أولهم ، وهم يشربون ماء هـذه البحيرة على كثرته ، ولذلك أكد آخرهم الخبر بالقسم المحـذوف ، والمدلول عليه باللام الواقعة فى جوابه ، الداخلة على (قد) والفعـل الماضى ، إشارة إلى أنهم واثقون فى صدقهم بالإخبار عـن هـذا المكان بأنه كان فيه ماء يوماً من الأيام.

وقدموا الجار والمجرور (بهذه) على (ماء) اهتمامًا وعنايـة بهذا المكان الذى جف بعد أن كان ممتلئا ، وهذه الصياغة مناسـبة لدهشتهم من نفاد ماء الحيرة ، ونكروا (ماءً) للتكثيـر ، أى : لقـد كان بهذه ماء كثير .

وعطف النظم الشريف جملة : (يمر آخرهم) على جملـة : (يمر أوائلهم) بالواو للتوسط بين الكمالين .

وبين (أوائلهم) و (آخرهم) طباق إيجاب حصر بـه الـنظم الشريف يأجوج ومأجوج ، وهم يمرون علـى بحيـرة طبريـة ، حصرًا شاملاً ، استوعبهم من أولهم إلى آخرهم .

ومن بلاغة النظم النبوى فى هذه الفقرة أن جمع : (أوائلهم) وأفرد (آخرهم) ليناسب بين الصيغة وحال الناس المعهودة حينمـا يتواردون إلى الماء ويتدافعون إليه ، فيكون المتقدمون منهم أكثـر من المتأخرين .

والواو فى قوله عليه الصلاة والسلام : (ويحصرٍ بنى الله عيسى وأصحابه) ابتدائية ، ابتدأ بها النظم الشريف حديثًا جديدًا عن عيسى وأصحابه ، وجملة : (حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم) كناية عن اشتداد الأمر ، وانتشار المجاعة والفاقة بين عيسى ومن معه من المسلمين .

وعبر بـ (نبى الله) إشارة إلى أن أمر يأجوج ومأجوج قد بلغ من الشدة حدًا لا يستطيعه حتى الأنبياء ، والإضافة فيه للتشريف .

وخص رأس الثور بالذكر دون بقية لحمه ، إشارة إلى أن الحاجة إلى الطعام قد بلغت بعيسى ومن معه إلى أقصى الغايات ، حتى إنهم ليشتهون أكل شئ من اللحم ولو كان رأس ثور ، أو لتقاس البقية عليه فى القيمة كما يقول المباركفورى رحمه الله . (١)

وعطف النظم الشريف جملة (يرغب) على جملة (يحصر) بالفاء مع أن الرغب إلى الله يكون بعد الحصور بفترة زمنية طويلة ينفد معها الزاد – كما يدل نص الحديث – لدلالة (حتى) الغائية على نهاية اشتداد الأمر بالحصور حينما تكون رأس الثور أحب إليهم من مائة دينار ، وعندها يسارع نبى الله عسى ومن معه إلى التضرع إلى الله .

ويجوز أن تكون الفاء فصيحة أغنت عن شرط محذوف ، والتقدير : فإذا صار الأمر كذلك يرغب نبى الله.

وفى جملة : (يرغب نبى الله عيسى وأصحابه) إيجاز بالحذف ، إذ التقدير : فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله بالدعاء بالخلاص من هذه المحنة ، والنظم النبوى أقوى وأبلغ لما فيه من الاعتماد على ذكاء المتلقى ، وإثارته ، وحمله على البحث

---

(١) راجع : تحفة الأحوذى ٤١/٦ .

عن الجزء المفقود من الجملة ، فإذا ما وقف عليه حصلت المتعة والنشوة .

ثم تأتى استجابة الله تعالى لنبيه عيسى والمؤمنين : (فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم) وهى استجابة فورية ناسبها الإتيان بفاء التعقيب كأداة عاطفة ، والضمير فى : (عليهم) يعود إلى يأجوج ومأجوج ، ونهايتهم تكون بجند من جنود الله ، وهى (النغف) ومعناه: الدود الذى يأخذ برقابهم [١] . وعرف باللام لعهد المخاطبين به.

وتأمل بلاغة النظم النبوى من خلال التعبير بالإرسال هنا ، وكان قد عبر فيما مضى بالبعث : (إذ بعث الله عيسى ابن مريم) و (ويبعث الله يأجوج ومأجوج) وذلك للتفاوت المعنوى بين اللفظين والمقام الذى يقتضى أيًا منهما ، فالإرسال لا يكون – كما ذكر أبو هلال رحمه الله – إلا برسالة وما يجرى مجراها . وما يجرى مجراها هنا هو إهلاك يأجوج ومأجوج ، وهذا بخلاف البعث ، فإنه اسم للإخراج فحسب . [٢] ولذلك كثر فى القرآن الكريم التعبير بالإرسال فى مقام التعذيب والانتقام إذا كان الانتقام بمخلوقات الله سوى البشر ، قال تعالى : (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع ..) [٣] وقال جل شأنه : (وأرسل عليهم طيرًا أبابيل)[٤].

فإذا كان الانتقام بالبشر جاء التعبير بالبعث ، قال جلت قدرته : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد) [٥].

---

(١) راجع : النهاية (نغف) .

(٢) راجع : الفروق اللغوية صـ٢٨٤

(٣) الأعراف : ١٣٢ .

(٤) الفيل : ٣ .

(٥) الإسراء : ٥ .

وتأمل قيمة الإبدال فى (رقابهم) حيث أبدله النظم الشريف بدل البعض من الضمير فى (عليهم) وذلك لتحديد مكان الفرس والأخذ تحديدًا دقيقًا ، مع توكيد المعنى وتقريره ، وكان يكفى أن يقال : فيرسل الله عليهم النغف .

ثم تأمل سرعة استجابة جند الله بتنفيذ أمره ، وظهور أثر ذلك فى يأجوج ومأجوج ، وذلك من خلال العطف بفاء التعقيب فى: (فيصبحون فرسى) جمع : فريس بمعنى قتيل ، من فرس الذئب الشاة وافترسها : إذا قتلها [١] .

ثم يأتى التشبيه (كموت نفس واحدة) ليشير إلى عموم انتشار النغف فى رقاب يأجوج ومأجوج ليموتوا فى وقت واحد ، وكأنهم ذوو روح واحدة ، على الرغم من تعدد الأجساد وانفصالها، يقول الطيبى رحمه الله : (يريد أن القهر الإلهى الغالب على كل شئ يفرسهم دفعة واحدة ، فيصبحون قتلى ، وقد نبه بالكلمتين – أعنى النغف وفرسى – على أنه تعالى يهلكهم من أدنى ساعة بأهون شئ ، وهو النغف ، فيفرسهم فرس السبع الفريسة ، بعد أن طارت نعرة البغى فى رؤوسهم ، فظنوا أنهم قاتلوا من فى السماء)[٢] .

هذا وقد دل التنكير فى (نفس) على الإفراد ، وأكدت هذه الدلالة بالوصف (واحدة) .

---

(١) راجع : النهاية (فرس) .

(٢) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١٢١/١٠ ، ١٢٢ .

هبوط عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض

وبعد موت يأجوج ومأجوج يهبط عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض ، فيجدون جثثهم قد ملأت الأرض نتنا وزهمًا ، فيدعون الله أن يخلصهم منها ، فيرسل الله طيرًا عظيمة تحمل هذه الجثث إلى حيث شاء ، ثم يرسل تعالى مطرًا يغسل وجه الأرض ويطهرها ، يقول عليه الصلاة والسلام : **(ثم يَهبطُ نبىُّ الله عيسى وَأصحابُه إلى الأرض ، فلا يجدونَ فى الأرض مَوْضَعَ شبر إلا ملأهُ زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُم، فيرغَبُ نبىُّ الله عيسى وَأصحابُه إلى اللَّه ، فيرسلُ اللهُ طيرًا كأعناق البُخْتِ ، فتَحمِلُهم فتطْرَحُهُم حيث شاءَ اللهُ، ثم يُرسلُ اللهُ مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ، فيغْسِلُ الأرضَ حتى يتركَهَا كالزَّلَفَة)** .

ويبدأ ﷺ هذا الجزء بحرف العطف (ثم) ليفيد العطف بها تراخى هبوط عيسى وأصحابه إلى الأرض عن موت يأجوج ومأجوج بوقت طويل .

وعبر النظم الشريف بالهبوط بدلاً من النزول ؛ لأن الهبوط – كما يقول أبو هلال رحمه – نزول يعقبه إقامة ، بخلاف النزول فإنه يقال : نزل وإن لم يستقر ، ومن ثم قيل : هبطنا مكان كذا : أى نزلناه ، ومنه قوله تعالى : (قلنا اهبطوا منها جميعًا) [١] ومعناه: انزلوا الأرض للإقامة فيها [٢].

ونزول عيسى عليه السلام وأصحابه من الطور سيكون للإقامة فيها، وقيل : إنه يمكث فى الأرض بعد قتله الدجال أربعين سنة ،

---

(١) البقرة : ٣٨ .

(٢) راجع : الفروق اللغوية صـ٣١٦ .

ثم يموت ويصلى عليه المسلمون [١]. ومن ثم آثر النظم الشريف التعبير بالهبوط دون النزول أو غيره مما يدل على معناه.

والفاء فى قوله عليه الصلاة والسلام : (فلا يجدون فى الأرض) فصيحة أغنت عن شرط محذوف ، والتقدير : فإذا هبطوا فلا يجدون فيها ، وأظهر الأرض فى هذه الجملة ، بدلاً من الإضمار ؛ لأن الإظهار ملائم لمقام التهويل من شأن زهمهم ونتنهم، وكأنه يريد أن يقول ، ثم يهبط عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض – على اتساعها – موضع شبرٍ إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، "والإسناد إلى الاسم ظاهر أوْقَعُ وأفْعَلُ وأبْيَنُ وأكْشَفُ ، من الإسناد إلى الضمير ، وهو فى الكلام دليل على عناية المتكلم بهذا الحدث الذى خالف فيه وأسنده إلى الاسم الظاهر وعدل عن إسناده إلى الضمير" [٢].

والقصر فى هذه الجملة من قبيل قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا مبنيًا على المبالغة ، حيث قصر حال كل شبر من الأرض ، على حال واحدة ، وهى الامتلاء بزهم ونتن جيف يأجوج ومأجوج ،فالمنفى– وهو كل الأحوال التى تتعلق بالأرض – عام ، ولكنه غير مطابق للواقع ؛ لأنه يبقى للأرض بعد ذلك دحيها، وخصوبتها ، وصلاحيتها للمعيشة عليها ، وغير ذلك ، لكن مبالغة فى وصف زهم يأجوج ومأجوج ونتنهم بالشدة والظهور حتى كأنه محا كل هذه الأوصاف ، اتخذ النظم البليغ طريق القصر لتقرير تلك المبالغة ، وسلك طريق النفى والاستثناء ؛ لأنه الطريق الوحيد من طرق القصر الذى يؤتى به فى المعانى الغريبة التى تحتاج فى إثباتها إلى مزيد من التقرير والتأكيد [٣].

---

(١) راجع : شرح سنن أبى داوود ١١٠/٢٥ .

(٢) راجع : شرح أحاديث من صحيح البخارى صـ٣٥٣ .

(٣) راجع : دلائل الإعجاز صـ٣٣٢ . ودلالات التركيب صـ١٠٤ .

والتنكير فى (شبر) أفاد الإفراد ، أو العموم ، والمعنى : لا يجدون فى الأرض موضع شبر واحد ، أو أى شبر ، إلا ملئ بدسمهم ورائحتهم الكريهة ، والأسلوب كناية عن امتلاء الأرض بزهمهم ونتنهم .

والفاء فى قوله عليه السلام : (فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله) فاء العطف ، عطفت رغب عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله ، على ما قبله بوجه يفيد السرعة والتعقيب .

ويمضى بنا النظم الشريف على السمت نفسه من البلاغة والدقة فى اختيار الكلمات المناسبة للمقام ، فيختار الإرسال بدلاً من البعث فى : (فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت) ليتناسب هذا الاختيار مع المهمة التى أرسلت بها هذه الطير ، وهى نقل جيف يأجوج ومأجوج إلى حيث شاء رب الأرض والسماء .

ويأتى التنكير فى (طيرًا) ليفيد التعظيم والتكثير ، أى : طيرًا كثيرة عظيمة الخلق ، وربما أفاد التنكير النوعية مع الكثرة ، فيكون المعنى : فيرسل الله طيرًا كثيرًا من نوع خاص ، وهو ذلك النوع الذى يشبه الإبل .

و(البخت) إبل طوال الأعناق [١] . فتشبيه الطير بها يلحقها بها فى طول الأعناق وضخامة الأجسام ، ويظهرها فى صورة نوع من طيور خاصة أوتيت أجسام الإبل وقوتها ، كى تستطيع حمل الجثث والطير بها إلى حيث أمرت .

وتشبيه الطيرِ بأعناق الإبل لا يستقيم ؛ ولذلك قدر الطيبى – رحمه الله – محذوفًا ، وهو المشبه ، حيث قال : "طيرًا أعناقها كأعناق البخت" [٢].

---

(١) راجع : النهاية (بخت) .

(٢) راجع : الكاشف عن حقائق السنن ١٢٢/١٠ .

ولا شك أن طيرًا كهذه لم يكن لأى إنسان من الحاضرين وغيرهم إلف لها ؛ ولذلك نزع التشبيه إلى واقع البيئة المحيطة ليشبهها بما هو مألوف معروف ، وإن كان التشبيه فى هذا السياق على وجه التقريب ؛ لأنه يشبه أمرًا غيبيًا لا يعلمه إلا الله .

والفاء فى : (فتحملهم فتطرحهم) عاطفة ، عطفت الحمل على الإرسال ، والطرح على الحمل ، ودلت على سرعة وقوع الأحداث واتصالها .

وتأمل موقع (ثم) فى قوله ﷺ : (ثم يرسل الله مطرًا) وكيف أفاد العطف بها وجود مهلة زمنية بين إرسال المطر الذى يغسل الأرض ، وإخلائها بطريق الطير من قتلى يأجوج ومأجوج ، وهى مهلة مناسبة لاستقصاء الطير كل ما على الأرض من جثث هؤلاء.

ويأتى التعبير بالإرسال ليشير إلى أن المطر إنما أرسل بأمر الله لأداء مهمة ، وهى تطهير الأرض من زهم يأجوج ومأجوج ونتنهم.

ثم يأتى التنكير فى (مطر) ليوحى بالكثرة والغزارة ، مما يتناسب مع حال هذا الماء الذى وكل بتهطير الأرض ، بينما دل التنكير فى (مدر) و (وبر) على العموم .

و (يكن) يستر ويصون ، [١] ومعنى : (لا يكن منه بيت مدر ولا وبر) أى : لا يستر منه بيت مدر ولا وبر شيئًا ، بحذف المفعول إشارة إلى عمومه إشارة تتناسب مع اجتياح هذا المطر لما على وجه الأرض من شئ ، والمدر : الطين الصلب [٢] ، والأسلوب كناية عن انهمار المطر بشدة وغزارة .

---

(١) راجع : الفائق (كنن) .

(٢) راجع : النهاية (مدر) .

وبين (مدر) و (وبر) طباق وجناس لاحق ، أضفى إلى الفقرة نغمة موسيقية جميلة ، تجعل الآذان أكثر إصغاء ، والقلوب أشد إعجابًا ، خصوصًا وقد جئ به طواعية فى سياق يدل على العموم والشمول ، ولم يؤت به تكلفًا أو صنعة .

والطباق والجناس وسائر المحسنات البديعية إذا جاءت هكذا لم يتكلفها المتكلم ، أو لم يقد المعنى نحوها – كما يقول عبدالقاهر رحمه الله – كانت حسنة محمودة (١).

والمتأمل فى هذه الفقرة يجد فيها ذكر لفظ الجلالة بطريق وضع المظهر موضع المضمر أربع مرات ، إذ لو جرى الأسلوب على ما يقتضيه الظاهر لقيل : فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إليه ، فيرسل طيرًا ، فتحملهم حيث شاء ، ثم يرسل مطرًا .

لكن استحضارًا لعظمة الخالق جل وعلا ، ولفتًا إلى انفراده بالرجوع إليه فى السراء والضراء ، وانفراد قدرته بإيجاد هذه الأشياء ، واهتمامًا بهذه الأحداث المسندة إليه ، كان ذكر لفظ الجلالة دون الضمير .

و(الزَّلَفَةُ) المرآة ، وقيل : هى مصانع المياه التى تتجمع فيها، وقيل : الصحفة ، وقيل : الروضة (٢).

والمعنى الأول والثانى ملائمان لغرض التشبيه أكثر من الثالث والرابع ؛ لأن تشبيه الأرض بعد غسلها بالزلفة يهدف إلى بيان حالها من النظافة والصفاء على وجه يفيد المبالغة والتأكيد – كما هو الحال فى كل تشبيه – فالأرض تصبح بعد غسل المطر

---

(١) راجع : أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر صـ١٤ تحقيق الشيخ/ محمود محمد شاكر – مطبعة المدنى – جدة – ط/أولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

(٢) راجع : النهاية (زلف) . وصحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٤/٩ .

إياها كالمرآة يرى الناظر فيها وجهه ، أو كمجتمع المياه الصافى الذى يعكس صورة الأشياء على سطحه .

والتشبيه هنا مرسل ، مجمل ، حذف منه الوجه إيجازًا واختصارًا ، ولتذهب فيه كل نفس المذهب الذى تراه أمس رحمًا لمقام الكلام وسياقه .

ولك أن تتخيل صورة الأرض – كما نقلها التشبيه – وهى تبدو كالمرآة ، أو كالماء المتجمع ، وعيسى عليه السلام والمؤمنون يمشون عليها ، بعد أن طهرت مما هو سبب فى انبعاث الروائح الكريهة ، وغسلت من دسمه ، وأصبحت كالمرآة صفاء ونقاءً ، أو كمجتمع الماء عكسًا لصورة من ينظر فيه .

لقد صور البيان النبوى حال الأرض فى نظافتها بعد نزول المطر عليها تصويرًا دقيقًا بأسلوب بلغ الغاية فى الإيجاز ، إذ لم يتطلب من الألفاظ إلا ثلاثة .

حلول البركة فى كل شئ قبل قبض المؤمنين

و

قيام الساعة على شرار الخلق

بعد تطهير الأرض من جثث يأجوج ومأجوج وما تبقى من زهمهم وخبيث روائحهم ، عن طريق الطير والمطر ، تتهيأ الأرض للإنبات ، فيأتيها أمر ربها بذلك ، فتنبت نباتًا طيبًا مباركا فيه ، مختلفا عما هو معهود من قبل ، حتى إن الجماعة ليأكلون من الرمانة الواحدة ، ويستظلون بقشرها ، وتحل البركة فى الأنعام ، فتدر درًا لم يُر مثله من قبل ، ثم تمر ريح طيبة بأمر الله ، فتقبض روح كل مسلم ، فلا يبقى إلا شرار الناس ، يعيشون عيشة البهائم حتى تقوم عليهم الساعة ، يقول ﷺ : **(ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك ، ورُدِّى بَرَكتَك ، فيومئذٍ تأكل العَصابةُ من الرُّمَّانةِ ، ويَسْتظِلون بقِحْفِها ، ويُبارَكُ فى الرَّسْل حتى إن اللِّقْحَةَ من الإبل لتكفِى الفِئَامَ من الناس ، واللِّقحةَ من البقر لتكفى القبيلةَ من الناس ، واللِّقحةَ من الغنم لتكفى الفَخْذَ من الناس ، فبينما هم كذلك إذْ بعثَ اللهُ ريحًا طيبةً فتأخذُهم تحت آباطِهم ، فتَقبِضُ رُوحَ كلِّ مؤمن وكل مسلم ، ويَبْقَى شِرارُ الناس ، يَتَهارَجُونَ فيها تَهَارُجَ الحُمُر ، فَعَلَيْهِم تقومُ الساعةُ)** .

ويبدأ النظم الشريف هذا الجزء بحرف العطف (ثم) والذى يعطف الأمر الإلهي للأرض بالإنبات على ما قبله .

وكما هو معلوم أن هذا الحرف تعطف به الأحداث التى يكون بينها مهلة وتراخٍ ، فمجيئه هنا يوحى بأن أمر الله للأرض

بالإنبات يكون بعد غسل المطر إياها بفترة تتيح لسطحها أن يجف ويتهيأ للإنبات .

ثم يجرى النظم الشريف على ما تقتضيه البلاغة فى صياغة الكلام صياغة وجيزة تركز على ما هو أهم ، فيبنى الفعل : (يُقال) على ما لم يسم فاعله ، تحقيقًا للإيجاز ، وإحكامًا للصياغة ، وتركيزًا على الأحداث ، واعتمادًا على العلم بالقائل الآمر سبحانه ، يقول الزركشى رحمه الله : "كأن طى ذكر الفاعل كالواجب لأمرين: أحدهما : أنه إن تعين الفاعل ، وعلم أن الفعل مما لا يتولاه إلا هو وحده ، كان ذكره فضلاً ولغوًا ، والثانى : الإيذان بانه غير مشارك ولا مدافع عن الاستئثار به والتفرد بإيجابه" (١) .

ثم يعيد النظم البليغ ذكر الأرض بطريق الإظهار للنص عليها بصريح اسمها قبل توجيه الأمر إليها .

والأمر فى قوله : (أنبتى ثمرتك) حقيقى صادر من رب العزة للأرض بالإنبات فور تحقق الصيغة .

والأمر هنا بالإنبات ، وليس بالإخراج ؛ لأنه الأنسب للثمار، بخلاف الكنوز.

وتنوعيًا للأساليب بين الخبرية والإنشائية ، ووضعًا للمخلوق أمام خالقه لتلقى أوامره ، ونصًا على المطلوب بصيغة الأمر القاهرة ، آثر النظم البليغ هذا الأسلوب على ما كان يمكن أن يحل محله ويؤدى وظيفته من مثل قولنا : ثم يأمر الله الأرض ، أو ثم تؤمر الأرض بإنبات ثمرتها ، ورد بركتها ، وغير ذلك من الأساليب الخبرية التى تؤدى هذا المعنى .

---

(١) راجع : البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٤٥/٣ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – ط : دار المعارف – بيروت – ط/ ثانية – بدون تاريخ .

والملاحظ هنا تعدى الأمر بالإنبات إلى الثمار ، وليس إلى النبات الذى سيثمر ، وفى هذا إشارة إلى أن النبات فى هذا الزمن سيختلف فى نموه وانتقاله من طور إلى طور على وجه السرعة عما هو مألوف ، وكأن الخارج من الأرض ثمار ، وليس نباتاً ، أو كأن هذا النبات سيتحول كله إلى ثمار ، وعبر عنه بطريق المجاز المرسل ، بعلاقة ما سيكون ، مبالغة فى كثرة الإثمار آنذاك ، وهذا مناسب للأمر التالى لهذه الصيغة : (وردى بركتك) .

وفى التعبير بالرد هنا بدلاً من الإخراج ، إشارة إلى أن الأرض قبل هذا الزمن ستكون ممسكة لبركتها بأمر خالقها ، وقد روى أنه "إذا كان قبل الدجال بثلاث سنين حبست السماء ثلث قطرها وحبست الأرض ثلث نباتها ، فإذا كانت السنة الثانية حبست السماء ثلثى قطرها وحبست الأرض ثلثى نباتها ، فإذا كانت السنة الثالثة حبست السماء قطرها كله وحبست الأرض نباتها كله ..."(١).

وعطف النظم الشريف جملة الأمر الثانية : (ردى) على جملة الأمر الأولى : (أنبتى) لما بينهما من التوسط بين الكمالين ، حيث الاتحاد فى الإنشائية وفى المسند إليه قائم بينهما ، ولا يوجد ثم مانع من العطف .

وقد أحدث ختام الجملتين بروى واحد ، مع اتحاد الفاصلتين فى الوزن شجعًا مطرفا ، زاد الجملتين جمالاً وروعة بفضل ما أضفاه عليهما من تنغيم موسيقى خلاب .

ومن بلاغة السجع النبوى هنا أن أتى هينًا لينًا قاد المعنى إليه واستدعاه حتى إنك لا تكاد تشعر به ، وإذا كان السجع كذلك كان حسنًا مقبولاً ، يقول ابن سنان رحمه الله : "والمذهب الصحيح

---

(١) راجع الحديث فى : مسند الإمام أحمد ٤٥٣/٦ ب: حديث أسماء بنت يزيد – رقم:٢٧٦٠٩ .

أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسرًا بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه ، ولا يكون الكلام الذى قبله إنما يتخيل لأجله ، وورد ليصير وصلة إليه" .(١)

والفاء فى (فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة) فصيحة ، أو عاطفة لمضمون كلام على مضمون كلام ، على نحو ما سبق من عطف الخبر على الإنشاء بهذا الحرف .

و(العصابة) الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين(٢)، والتاء فى (الرمانة) تاء الوحدة ، و(أل) فيه عهدية ، و(من) تبعيضية ، دلت على كبر حجم الرمانة فى ذلك الزمن ، حتى إن الجماعة من الناس ليأكلون حتى يشبعوا من جزء منها .

و(القِحْفُ) فى الأصل ما فوق الدماغ ، وقيل : ما انفلق من جمجمته وانفصل ، والمراد هنا قشر ثمرة الرمان (٣) .

فالأسلوب من باب الاستعارة التصريحية ، والجامع بين الطرفين هو الاستدارة مع التجويف فى كل .

ولك أن تتخيل حجم رمانة يأكل منها ما فوق العشرة من الناس دون أن يأتوا عليها ، ويتخذون قشرها كمظلة تقيهم حر الشمس .

وعطف النظم الشريف جملة : (ويبارك فى الرَّسل) على جملة : (يقال للأرض) لما بينهما من التوسط بين الكمالين ، ويجوز

---

(١) راجع : سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ١٧١/١ ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٢ – ١٩٨٢م .

(٢) راجع : لسان العرب (عصب) .

(٣) راجع : النهاية (قحف)

أن تكون الواو استئنافية ، وما بعدها خبر جديد مستقل بذاته ، والبناء فيها على صيغة المفعول كالبناء فيما قبلها .

و(الرَّسل) اللبنِ ، واللِّقحة : الناقة ذات اللبن [١]، و(من) فى قوله ﷺ : (حتى إن اللِّقْحَةَ منِ الإبل لتكفِى الفِئَامَ من الناس ، واللِّقحةَ من البقرِ لتكفى القبيلةَ من الناس ، واللِّقحةَ منِ الغنم لتكفى الفَخْذَ من الناس) بيانية جئ بها لبيان جنس ما قبلها .

وأكد الخبر بـ (إن) وباللام فى (لتكفى) لغرابته وبعده عما يألفه الناس فى حياتهم المعتادة .

وتأمل الدقة فى اختيار الكلمات الدالة والمناسبة بينها فى نظم هذه الجملة ، ثم تأمل تدرج الأسلوب تدرجًا تنازليًا فى ذكر الأكثر لبنًا والأكبر حجمًا من الأنعام إلى الأقل ، مع قرن كل واحد منها بما يناسبه مما يدل على الجماعة من الناس ، حيث ذكر اللقحة من الإبل أولاً وقرنها بالفئام من الناس ، ثم ذكر اللقحة من البقر وقرنها بالقبيلة ، ثم ذكر اللقحة من الغنم وقرنها بالفخذ ، والفئام أكثر من القبيلة كما أن القبيلة أكثر من الفخذ [٢].

وهذا من أروع صور التناسب وحسن التقسيم ، حيث لا تجد فى هذه الفقرة كلمة قلقة فى موضعها ، أو نابية عن مكانها ، وإنما تجد كل كلمة فيها آخذه بحجزة ما قبلها وبحجزة ما بعدها ، كما لا تجد نوعًا مما يؤكل لحمه ولبنه من البهائم لم يذكر هنا .

وقدم ﷺ ذكر الرمانة على ذكر اللقحة ؛ لأنه ذكر للرمانة منفعتين ، وهما : الأكل والاستظلال ، بينما ذكر للقحة منفعة واحدة، وهى شرب لبنها ، وذو المنفعتين يقدم على ذى المنفعة الواحدة ، ثم إن الرمانة من نبات الأرض ، فهى أكثر مناسبة

---

(١) راجع : النهاية (رسل) .

(٢) راجع : مرقاة المفاتيح ٣٨٦/٩ .

لخطاب الأرض وأمرها بالإنبات ورد البركة ، كما أن اللقحة لا تدر إلا إذا أكلت من هذا النبات ؛ ولذلك كان تقديم النبات على الحيوان فى هذا النص الشريف .

ويمضى بنا الحديث الشريف على سمته البليغ فى اختيار الكلمات الدالة والمناسبة للسياق الذى ترد فيه ، إذ لما كان إرسال الريح الطيبة رحمة بالمؤمنين ، وتخليصًا لهم من شرار الناس قبل قيام الساعة ، وليس انتقامًا ، آثر النظم الشريف التعبير بالبعث بدلاً من الإرسال فقال : (فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم).

وقد عبر القرآن الكريم عن الأخذ بالريح انتقامًا بالإرسال ، قال تعالى : (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) (١).

وفى هذه الجملة النبوية نجد النظم الشريف قد اتخذ التنكير طريقًا لتعظيم هذه الريح الطيبة وتفخيم أمرها وما بعثت به ، ووصف هذه الريح بأنها طيبة لتتناسب بوصفها هذا مع طيب الأرواح التى كلفت من قبل مرسلها سبحانه بقبضها .

وتأمل دلالة الفاءات فى هذه الفقرة على سرعة وقوع الأحداث وتلاحقها ، تناسبًا مع طى الزمان ساعاته فى هذه الحقبة العصيبة ، وقرب الأمر الإلهى للساعة بالقيام.

وإسناد القبض إلى الريح الطيبة فى قوله ﷺ : (فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم) إسناد عقلى ، أسند فيه الفعل إلى سببه ، مبالغة فى تأثير وقوة السبب فى إحداث الفعل ، وكأن هذه الريح هى التى ستتولى قبض أرواح المؤمنين بنفسها ، وليست مجرد سبب فيه .

---

(١) الذاريات : ٤١ .

ويتحد أسلوب التنكير فى (مؤمن – مسلم) مع لفظ الإحاطة والشمول (كل) فى الدلالة على استقصاء أرواح المؤمنين والمسلمين بسبب هذه الريح .

ولأجل المبالغة فى العموم والاستقصاء كان العطف الذى يوهم بالمغايرة بين مؤمن ومسلم ، يقول القارى رحمه الله : "فإنه لا فرق بين المؤمن والمسلم عند أرباب الحق من أهل السنة والجماعة .. فالمقصود المبالغة فى التعميم والتغاير باختلاف الوصفين .. أو بناء على الفرق اللغوى بينهما من أن المراد بالمؤمن المصدق ، وبالمسلم المنقاد" (١).

ويرى الطيبى – رحمه الله – أن العطف هنا بمنزلة التكرار، يقول : "أراد بالتكرار ههنا الاستيعاب ، أى : تقبض روح خيار الناس كلهم" (٢).

والواوفى قوله عليه الصلاة والسلام : (ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر) عاطفة ، عطفت جملة (يبقى) على جملة : (تقبض) أو استئنافية ، وما بعدها كلام جديد مستأنف ، أو حالية .

والمقصود بـ (شرار الناس) الكافرون ، وعلى هذا فإن فى هذه الجملة مقابلة بين (تقبض روح كل مؤمن ومسلم) و (ويبقى شرار الناس) وهى مقابلة خفية بعض الشئ ، غير أنها أدت وظيفتها فى تقرير المعنى وتوكيده ، واستقصاء عقائد البشر فى ذلك الزمن وحالهم من الموت أوالبقاء.

و(يتهارجون) من الهَرْج ، وهو الجماع (٣) ، والجملة حالية، صيغت على المضارعة لاستحضار تلك الصورة القبيحة ، والدلالة

---

(١) راجع : مرقاة المفاتيح ٣٨٦/٩ .
(٢) راجع : الكاشف عن ١٢٣/١٠ .
(٣) راجع : النهاية (هرج) .

على تجددها واستمراريتها ، إشارة إلى أن هذا الفحش سيقع منهم على جهة المداومة حتى يصبح عادتهم التى تزول معها كل خشية وحياء .

ولذلك شبه ﷺ صنيعهم هذا بصنيع الحمر حين تتنازى ، تشبيهًا بليغًا ، حذفت منه الأداة لتؤكد وتقوى المشابهة بينهم وبين الحمير ، وحذف منه الوجه لتذهب العقول فى تقديره كل مذهب من مذاهب القبح والعرى والاشمئزاز ، ووقع فيه المشبه به مفعولا مطلقا للمشبه ؛ لبيان نوعه ، إشارة إلى أن جماع الرجال والنساء فى ذلك الزمن سيكون من هذا النوع المألوف فى الحمر بما فيه من بشاعة الصورة وكراهة المنظر .

والتشبيه هنا ملائم لكل البيئات والأزمنة ، بالغ أقصى الغايات فى تشويه حال المشبه .

وبين (يتهارجون) و (تهارج) جناس اشتقاق زاد المعنى مع التشبيه تقوية وتوكيدًا .

والفاء فى (فعليهم تقوم الساعة) فصيحة ، دلت على شرط محذوف ، والتقدير : فإذا أصبحوا كذلك فعليهم تقوم الساعة .

وتقديم الجار والمجرور (عليهم) على الفعل (تقوم) للقصر والاختصاص ، أى : فعليهم وحدهم ، لا على غيرهم ، ولا يشاركهم أحد فى مشاهدة قيامها .

والقصر هنا من قصر الصفة على الموصوف ، حيث قصر ﷺ قيام الساعة على هؤلاء القوم دون المؤمنين ، قصرًا إضافيًا مطابقا لواقع آخر الزمان كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

وهذه الصياغة تؤكد قبض الصالحين قبل قيام الساعة ، والذى دُلّ عليه بقوله ﷺ عن الريح الطيبة : (فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم).

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

خاتمــة البحـــث

الحمد لله رب العالمين ، وأصلى وأسلم على خاتم الأنبيـــاء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعـــد

فقد عشنا فيما مضى مع حديث رسول الله ﷺ عن فتن آخـــر الزمان ، ورأينا كيف تناولها النظم الشريف بالوصـــف الـــدقيق ، والتصوير الكاشف ، والأسلوب الوجيز ، والعبارة الواضحة .

وقد انتهينا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية :-

أولاً : اتسام ألفاظ ومعانى الحديث الشريف بالفصاحة والوضوح .

ثانيًا : مناسبة صيغ الأفعال فى الحديث الشـــريف لـــزمن وقـــوع الأحداث ، حيث جاءت على صيغة المضارعة ، إلا قولهﷺ: (فعاث يمينًا وعاث شمالاً) وقوله عليه الصـــلاة الســـلام : (إذ بعث الله عيسى ابن مريم) وقوله : (إذ أوحـــى الله إلـــى عيسى) .

ثالثًا : حرص البيان النبوى على إخراج هذه الحقائق الغيبية التـــى اشتمل عليها فى صورة مقررة محققة ، وذلك مـــن خـــلال استخدام بعض أساليب التوكيد .

رابعـــاً : اعتماد البيان النبوى فى هـــذا الحـــديث الشـــريف علـــى الأسلوب الخبرى أكثر من الأسلوب الإنشائى ؛ وذلك لأن الأســـلوب الخبـــرى هـــو الأنســـب لتقريـــر الحقـــائق الغيبية المقطوع بوقوعها بعيدًا عن الإثارة والتهييج.

خامسًا : ميل الأسلوب فى هذا الحديث الشريف إلى الإيجاز الشديد فى سرد الأحداث ، مع أنه يصور أحـــداثًا لـــو صـــيغت بطريق التفصيل لاحتاج الوفاء بها إلى أضعاف هذا النص الشريف .

سادسًا : استخدام البيان النبوى فى هذا الحديث الشريف لأســـاليب التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، لإيضاح بعـــض المعـــانى وتقريرها ، وعرضها فى صورة محسوسة مألوفة .

سابعًا : ظهور بعض المحسنات البديعية كالطبـــاق ، والمقابلـــة ، ومراعاة النظير ، والجناس ، والسجع ، بصورة عفوية قاد إليها المعنى واستدعاها دون تكلف ، وهذا ما يجعل قـــارئ الحديث لا يكاد يشعر بوجودها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العـــالمين

المصادر والمراجع

١- إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر د/ إبراهيم داود – مطبعة – التركى – طنطا – ط/أولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦.

٢- أسرار البلاغة للإمام / عبدالقاهر الجرجانى – تحقيق/ محمود محمد شاكر – مطبعة – المدنى – جدة – ط/ أولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

٣- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى – تحقيق/ على محمد البجاوى – ط: دار الجيل – بيروت – ط/ أولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٤- الأعلام للزركلى – ط: دار العلم للملايين – ط/ خامسة ٢٠٠٢م.

٥- إكمال إكمال المعلم للأبى مع مكمل الإكمال للسنوسى – ضبط وتصحيح/ محمد سالم هاشم ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٦- الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى لـ/ على بن هبة الله – ط: دار الكتب العلمية – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧- إكمال المعلم للقاضى عياض – تحقيق د/ يحيى إسماعيل – ط: دار الوفاء – المنصورة – ط/ أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٨- الإيضاح للخطيب القزوينى – تحقيق د/محمد عبدالمنعم خفاجى – ط: دار الجيل – بيروت – ط/ ثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٩- البداية والنهاية لابن كثير – ط: دار إحياء التراث العربى – نشر : مكتب تحقيق التراث – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٠- البرهان فى علوم القرآن للزركشى – تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط: دار المعرفة – بيروت – ط/ ثانية – بدون تاريخ.
١١- بصائر ذوى التمييز للفيروزآبادى – تحقيق: أ/ على محمد النجار ط: المكتبة العلمية – بيروت – بدون تاريخ.
١٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى – ط: دار الكتب العلمية – بدون تاريخ .
١٣- تبصرة المنتبه لابن حجر العسقلانى – تحقيق/ محمد على البجاوى – ط: دار الكتب – بدون تاريخ .
١٤- تحفه الأحوذى للمباركفورى – ط: دار الكتب العلمية – بدون تاريخ.
١٥- تذكرة الحفاظ للذهبى – تحقيق/ زكريا عميرات – ط: دار الكتب – ط/ أولى ١٤١٩ – ١٩٩٨ .
١٦- التشويق فى الحديث النبوى د/ بسيونى فيود – مطبعة الحسين – القاهرة – ط/ أولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
١٧- التصوير البيانى د/محمد محمد أبو موسى – نشر: مكتبة وهبة – ط/ رابعة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٨- تفسير غريب ما فى الصحيحين للحميدى – تحقيق : د/ زبيدة محمد سعيد ، نشر : مكتبة السنة – القاهرة ط/ أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١٩- التقييد لمعرفة رواة السنن للبغدادى – تحقيق/ كمال يوسف الحوت – ط: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٠- التمهيد لما في موطأ مالك للقرطبى – تحقيق/ مطصفى ابن أحمد العلوى – نشر: مؤسسة قرطبة – بدون تاريخ.
٢١- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى – مطبعة : دائرة المعارف النظامية – الهند – ط/ أولى ١٣٢٧هـ .

٢٢- تهذيب الكمال لـ/ يوسف المرى – تحقيق/ بشار عواد – نشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ أولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
٢٣- التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوى – نشر : مكتبة الإمام الشافعى – الرياض – ط/ ثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٤- الثقات لابن حبان – تحقيق/ السيد شرف الدين – ط: دار الفكر – بيروت ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٢٥- حاشية السندى على صحيح البخارى – ط: دار الفكر – بدون تاريخ .
٢٦- الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية د/ عز الدين على السيد – ط: دار اقرأ – بيروت – ط/ أولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
٢٧- الحركة الأسلوبية د/ عبدالرازق محمد فضل – ط: التركى – طنطا – بدون تاريخ .
٢٨- الحيوان للجاحظ – تحقيق/ عبدالسلام محمد هارون – ط: دار الجيل – بيروت ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
٢٩- خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى – نشر: مكتبة وهبة – ط/ خامسة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٣٠- دلائل الإعجاز للإمام/ عبدالقاهر الجرجانى – تحقيق/ محمود محمد شاكر – مطبعة المدنى – جدة – ط/ ثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
٣١- دلالات التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى – نشر: مكتبة وهبة – ط/ ثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
٣٢- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى – ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
٣٣- سنن أبى داود – نشر : دار الكتاب العربي – بيروت – بدون تاريخ .

٣٤- سنن الدرامى – تحقيق/ فواز أحمد زمرلى – نشر: دار الكتاب العربى – بيروت – ط/ أولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٣٥- السنن الكبرى للبيهقى – تحقيق/ محمد عبدالقادر عطا – نشر : مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
٣٦- سير أعلام النبلاء للذهبى – ط/ دار القلم – بيروت – بدون تاريخ .
٣٧- شرح أحاديث من صحيح البخارى د/ محمد محمد أبو موسى – نشر : مكتبة وهبة – ط/ أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .
٣٨- شرح الزرقانى على موطأ مالك – ط/ دار الكتب العلمية – بدون تاريخ .
٣٩- شرح سنن أبى داود للعينى – تحقيق/ خالد المصرى – نشر: مكتبة الرشد – الرياض – ط/ أولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٤٠- شرح السنة للبغوى – تحقيق/ شعيب الأرنؤوط – نشر : المكتب الإسلامى – دمشق – ط/ ثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٤١- شرح سنن ابن ماجة للمغلاطى – تحقيق كامل عويضة – نشر : مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية – ط/ أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
٤٢- شرح صحيح البخارى لابن بطال – نشر: مكتبة الرشد – السعودية – ط/ ثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٤٣- شرح المفصل لابن يعيش – ط/ عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ .
٤٤- شروح التلخيص – ط/دار الإرشاد الإسلامى– بيروت – بدون تاريخ .

٤٥- صحيح ابن حبان – تحقيق/ شعيب الأرنؤوط – نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ط/ ثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
٤٦- صحيح مسلم – تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقى – ط/ دار الحديث – القاهرة – ط/ أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
٤٧- صحيح مسلم بشرح النووى – نشر : مكتبة الإيمان – المنصورة – بدون تاريخ .
٤٨- طبقات الأسماء المفردة للبرديجى – تحقيق/ عبده على كوشك – نشر: دار المأمون – دمشق ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٤٩- طبقات الشافعية الكبرى لـ/ تاج الدين السبكى – تحقيق د/ محمود محمد الضاحى – ط: دار هجر – ط/ ثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٥٠- العرف الشذى شرح سنن الترمذى للكشميرى – تحقيق/ أحمد محمد شاكر – نشر: مؤسسة ضحى – بدون تاريخ .
٥١- علوم البلاغة د/ مصطفى المراغى – ط: دار الآفاق العربية – ط/ أولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
٥٢- عمدة القارئ للعينى – ط/ دار إحياء التراث العربى – بدون تاريخ .
٥٣- غريب الحديث لابن الجوزى – تحقيق د/ عبدالمعطى قلعجى – ط/ دار الكتب – ط/ أولى ١٤٠٥ – ١٩٨٥م .
٥٤- غريب الحديث للخطابى – تحقيق/ عبدالكريم إبراهيم الغرباوى – نشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
٥٥- غريب الحديث لابن سلام – تحقيق د/ محمد عبدالمعيد خان – ط/ دار الكتاب العربى ط/ أولى ١٣٩٦هـ .

٥٦- غريب الحديث لابن فتيبة – تحقيق د/ عبدالله الجبورى – ط/ العانى – بغداد – ط/ أولى ١٣٩٧هـ .
٥٧- الفائق للزمخشرى – تحقيق/ على محمد البجاوى – نشر: دار المعرفة – ط/ ثانية – بدون تاريخ .
٥٨- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى – تحقيق/ عماد البارون – نشر : المكتبة التوفيقية – القاهرة – بدون تاريخ.
٥٩- فيض القدير للمناوى – ط/ دار الكتب العلمية – ط/ أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .
٦٠- الكاشف عن حقائق السنن للطيبى – تعليق/ محمد على سمك – ط: دار الكتب العلمية – ط/ أولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٦١- الكشاف للزمخشرى شرح/ يوسف الحمادى – نشر: مكتبة مصر – بدون تاريخ .
٦٢- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى – تحقيق/ على حسين البواب – نشر : دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
٦٣- لسان العرب لابن منظور – ط/دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٦٤- لسان الميزان للعسقلانى – تحقيق/ دائرة المعارف النظامية – الهند – نشر : مؤسسة الأعلمى – بيروت – ط/ ثالثة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٦٥- مرقاة المفاتيح للقارى – تقديم/ خليل الميس – ط/ دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ .
٦٦- مسند الإمام أحمد – نشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة – بدون تاريخ .

٦٧- معجم الصحابة لـ/ عبدالباقى بن قانع – تحقيق/ صلاح المصراتى – نشر : مكتبة الغرباء – المدينة المنورة – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٦٨- مفتاح العلوم للسكاكى – ط: دار الكتب العلمية – بدون تاريخ .
٦٩- المفهم لما أشكل من تلخيص كتب مسلم للقرطبى – تحقيق/ محيى الدين ديب مستو – ط: دار ابن كثير – بيروت – ط/ أولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
٧٠- من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل د/ هاشم محمد هاشم – ط/ أولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – بدون نشر.
٧١- موطأ مالك بشرح السيوطى – نشر : المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .
٧٢- ميزان الاعتدال للذهبى – تحقيق/ عادل أحمد عبدالموجود ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٥م .
٧٣- نزهة الألباب فى الألقاب للعسقلانى – تحقيق/ عبدالعزيز السديرى – نشر : مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
٧٤- النهاية فى غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير – تعليق/ صلاح محمد عويضة – د: دار الكتب العلمية – ط/ أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
٧٥- همع الهوامع للسيوطى – تحقيق/ أحمد شمس الدين – ط: دار الكتب – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٧٦- وفيات الأعيان لابن خلكان – تحقيق د/ إحسان عباس – ط : دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .